سلسلة وسارعوا.. كتاب 4

وجـــوه

تقديم

أ.د.أحمد منصور سبالك

رئيس الجامعة الإسلامية

تأليف

الفقيران إلى عفو ربهما

أحمد مختار

ماجستير تفسير وعلوم القرآن

رامى فريد

ماجستير عقيدة وأديان



الطبعة الأولى
1441 هـ / 2020 م

اسم الكتـــــاب: وجــــوه / وجوه السعداء
المــــؤلـــــف: أحمد مختار - رامي فريد
موضوع الكتاب:
المراجعة اللغوية: عبدالقادر أمين
عدد الصفحات: 96 صفحة
عدد المــــلازم: 6 ملزمة
مقاس الكتـاب: 14 x 21
عدد الطبعـات: الطبعة الأولى
رقــم الإيـــداع: 4167 / 2020
الترقيم الدولي: 6 - 815 - 278 - 977 - 978 :ISBN

التوزيع والنشر:



القاهرة - جمهورية مصر العربية
هاتف: 01012355714 - 01152806533
E-mail: elbasheer.marketing@gmail.com
elbasheernashr@gmail.com

وجوه السعداء

إهداء

إلى..

- آبائنـا وأمهاتنـا الكـرام، جزاكـم اللـه عنـا خـيرًا ا لما قدمتمـوه ومازلتـم تقدمونـه لنـا فى رحلـة الحيـاة، اللهـم أرحمهـم كـما ربيانـا صغـارا و أعنـا عـلى الـبر بهـم.
- زوجاتنـا الأوفيـاء، جزاكـن اللـه عنـا خـير الجـزاء عـما بذلتمـوه وتحملتمـوه معنـا فى طريـق الدعـوة إلى اللـه.
- شـيخنا ومعلمنـا فضيلـة الأسـتاذ الدكتـور / أحمـد منصـور سـبالك نفعنـا اللـه بعلمـك، وجـزاك اللـه عنـا وعـن المسـلمين خـير الجـزاء.
- كل مؤمـن تائـب وتائبـة للـه وحـده، تبـين لـه طريـق السـعادة فى إرضـاء ربـه،.

من أجلكم أيها الأحبة سطرنا هذا الكتاب...

فإذا حاز منكم القبول، فلعلنا نطمع فى دعوة بظهر الغيب

ووالله إنَّا نحبكم جميعًا فى الله

تقديم الدكتور / أحمد منصور سبالك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله (ﷺ) وبعد،

إن الله تعالى جعل أركان الإيمان ستة، ومنها: الإيمان بالقدر، وذلك فى حديث ابن عمر فى صحيح مسلم، حينما قال لسائله، وأن تؤمن بالقدر.

ولهذا قال نبينا (ﷺ) فى الحديث: "أتدرون من السائل؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: آتاكم جبريل يعلمكم أمر دينكم".

فمن أمر الدين أن يؤمن الإنسان المتدين بالقدر، مع إقراره بما ورد فى حديث مسلم: "عجبت لأمر المؤمن، إن أمره كله خير".

وفى رواية أحمد قال: "إن أصابته سراء فشكر كان خيرًا له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرًا له".

إن من اعتقاد الإنسان السليم أن يعتقد أن كل ما يمر به من قَدرِ الله تعالى، فلا داع للحزن على ما يقدره الله تعالى، طالما كان قد أخذ بالأسباب المتاحة له..

هذا وقد كتب كثير من العلماء فى قضية القدر ما بين المختصرات والمطولات، وذلك لبيان هذا الأمر الجلل، ومؤخرًا أعطانى كل من الابن الحبيب الشيخ / رامى فريد، والابن الحبيب الشيخ / أحمد مختار- حفظهما الله تعالى وسلمهما من كل سوء- كبسولة جديدة من الكبسولات الدعوية التى يكتبونها، وسموها هذه المرة بـ (وجوه).. وعقدوا مقارنة بين وجوه السعداء ووجوه الأشقياء فى الدنيا والآخرة، حتى يضعوا بين يدى القارىء الكريم ما يجب على المسلم أن يكون فى أىٍّ من نوعى هذه الوجوه.. فجزاهما الله خيرًا وجعله الله فى ميزانهما، وجعلنا الله والقارىء الكريم من أصحاب الوجوه السعيدة فى الدنيا وفى الآخرة.

وصلى اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم

كتبه

خادم العلم وأهله

أحمد منصور سبالك

تعريف بسلسلة وسارعوا

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، وجعل من بعده علماء عاملين، وأئمة مجتهدين، ودعاة إلى الهدى داعين، وعن الباطل منفِّرين، فهؤلاء جميعًا هم حملة هذا الدين، وورثة النبيين.. و نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغُمَّة، وهدى به من الضلالة، فاللهم اجعلنا به من المقتدين، وبسنته من المستنِّين، وبدينه من المتمسكين، وعلى طريقه من السائرين.

أما بعد.... أحبتنا فى الله

بعد أن لاقت الكتب الأولى من سلسلة (وسارعوا) قبولاً كبيرًا بفضل الله ومنته (كتاب الأربعين الرمضانية) (رواية وتسقط الأسوار ج 1، 2)، دعونا الله الجواد الكريم من أعماق قلوبنا بأن لا تكون هذه تجربة عابرة وتنتهى، وأن يرزقنا الإخلاص فى تبليغ دينه الحنيف، وأن نكون سببًا لعمارة الأرض، وأن نأخذ بأيدى الشباب إليه وحده، وأن ننتفع ونعمل بهذا العلم بإذن الله.

(الأمل هو توأم الإيمان، واليأس هو توأم الكفر)

فكل قلب ملأه اليأس فهو كالأرض البوار مقطوع عن الصلة بالله، و قد عبر لنا القرآن عن هذا المعنى الهام، فى قوله تعالى:

﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾[1]

وقد أدى هذا اليأس والإحباط إلى ظواهر اجتماعية خطيرة، تأسى منها قلوبنا على حال أمتنا، نذكر منها ظاهرتين نراهما بوضوح فى من حولنا:

الظاهرة الأولى: الانقطاع بالكلية والانتكاس فى الطريق إلى الله، بمعنى أن من كان يصلى جماعة ترك المسجد، ومن كان يطلب العلم ترك طلب العلم تمامًا، وبعد أن كانت دور تحفيظ القرآن مليئة أصبحت اليوم خاوية على عروشها.

---

(1) [الفتح:12]

الظاهـرة الثانيـة: وهـى الأكثريـة مـن النـاس، وهـم مسـتمرون فى ما يقربهـم إلى اللـه تعـالى مـن الطاعـات، ولكـن مع حالـة شـديدة مـن التراخـى والملـل، وحالهـم يقـول أنهـم يتمنـون أن ينتهـوا مـن أى عمـل صالـح قبـل أن يبـدأوه، حتـى أنـك تسـمع كثـيرا كلمـة (عاوزيـن ننجـز) ، مـما أدى لضعـف الخشـوع فى الصـلاة وباقـى العبـادات، وذهـاب حـلاوة الطاعـة، وفقـدان لحقيقـة الإيمـان في كافـة العبـادات، مـرورًا بالسـخط اليومـى عـلى كل شـئ، والشـعور المسـتمر بالكـرب الشـديد.

فنقـول لمـن انقطـع فى الطريـق: انهـض أخـى الحبيـب معنـا، واشـحن قلبـك بالأمـل، فالفرصـة مازالـت أمامـك، وربـك يفـرح بتوبتـك..

ونقـول لمـن يعبـد اللـه وهـو ملـئ باليـأس و الفتـور و الحـيرة و الشـتات: جـدد صلتـك باللـه، وأحسـن الظـن بربـك، فالأمـة الإسـلامية كلهـا فى حالـة تمحيـص وإعـداد، فلعـل اللـه قـد أعـد لـك دورًا كبـيرًا إذا رأى منـك الهمـة، والإقبـال عليـه.

ونقـول للثابتـون عـلى منهـج اللـه: مـن أجلكـم أيضًـا أطلقنـا هـذه السلسـلة؛ حتـى تـزدادوا ثباتًـا، وتكـون هـذه السلسـلة (و سـارعوا) عونـا لكـم عـلى تثبيـت مـن حولكـم، فتدارسـوها، واشرحوهـا للمنتكسـين، والحائريـن.

ما معنى الالتزام الحقيقى؟

إن كثيرًا من أشكال الالتزام التى نراها الآن فى مجتمعاتنا المسلمة، من الممكن أن نطلق عليها (الإلتزام المشوه) أو (إلتزام السوق)، وأيًّا ما كانت التسمية، ولكنه فى الحقيقة بعيد بشكل كبير عن حقيقة الالتزام الصافى النقى، الذى أمرنا به القرآن، وجاءت به السنة الصحيحة.

لقد صار الدين فى مخيلة مجموعة كبيرة من الناس عبارة عن طقوس وصلوات وقيم روحية، أما أن يكون للدين تدخل فى تفاصيل حياتهم، ويكون له اليد العليا فى قرارتهم، فلا و ألف لا....!!! إن الحقيقة التى نريد أن نبينها لكم فى هذا الكتاب، أن للإسلام تصور مستقل ومتكامل ورؤية خاصة للحياة، وأى محاولة (لترقيع) أو (لعلمنة) أو (لتغريب) هذا التصور، حتى يوافق رغبات الناس و شهواتهم؛ يؤدى إلى إسلام مفرغ من المضمون، مع كامل اعترافنا أن فى الإسلام مساحة كافية للمرونة والتجديد ومسايرة الواقع ومتغيرات العصر؛ لكن دون أن تؤثر على الثوابت أو تفرز لنا (أنصاف ملتزمين) يفسدون أكثر مما يصلحون.

ومن باب حرصنا المستمر على التجديد والابتكار فى كل ما نقدمه لكم، فإننا نعرض لكم هذه الفكرة المهمة، وهى ذكر الوجوه المختلفة فى القرآن والسُنة، فى الدنيا والآخرة، وقد قسمنا الوجوه لقسمين، وجوه السعداء، ووجوه الأشقياء، لعل يكون

بها مـن الـسرور والفـرح، والخـوف والفـزع مايجعلنـا نفـر مـن اللـه إلى اللـه وحـده.

والكتـاب يحمـل طابـع التشـويق والإثـارة والمتعـة، وفى الوقـت نفسـه يقـدم العلـم النافـع، الـذى يبـدد ظـلام الفـتن والشـبهات، ويشـحن قلوبكـم أيهـا الأحبـة بالمنهـج الصـافى.

ونحـن نعدكـم أنكـم لـن تبـدأوا فى أول صفحـة إلا و قـد وصلتـم إلى آخـر صفحـة فى الكتـاب بـإذن اللـه، بـدون أن تشـعروا أو تملـوا.

كـما أننـا راعينـا أن تكـون اللغـة العربيـة هـى الأصـل فى الطريقة التـى نعـرض بهـا الكتـاب، ولكـن حتـى تصـل الكلـمات إلى قلوبكـم، فـما كان بالعاميـة وضعنـاه بـين أقـواس.

وكـما تعودتـم معنـا فـإن منهجنـا هـو أن كل مـا نذكـره مـن أحاديـث فهـو مـن الصحيـح، وأعرضنـا عـن أى أحاديـث ضعيفـة، وإن ذكرنـا حديثًـا ضعيفًـا فمـن بـاب الإسـتئناس مـع بيـان ضعفـه، ففـى الصحيـح الكفايـة بـإذن اللـه ، كـما نحـب أن نلفـت أنظاركـم إلى أهميـة الاعتنـاء بمـا أشرنـا إليـه فى الهوامـش؛ لأن فيـه الكثـير مـن الفوائـد وتصحيـح للمفاهيـم.

و فى النهايـة... فـإن كان هنـاك ثـمَّ توفيـق فهـو مـن اللـه وحـده سـبحانه وتعالى،

وإن كان هنـاك مـن خطـأ فمنـا ومـن الشـيطان.. اللهـم اجعـل عملنـا هـذا صالحًـا، و اجعلـه لـك خالصًـا، ولا تجعـل لأحـد غـيرك

فيـه شـيئًا، و انفعنـا بـه يـوم لا ينفـع مـال ولا بنـون إلا مـن أتى اللـه بقلـب سـليم..

الفقيران إلى عفو ربهما..

أحمد مختار **رامى فريد**

الكتاب الأول
(وجوه السعداء)

أيها الوجه الحزين: إن مع العسر يسرا، و إن مع الضيق فرجا..

أيها الوجه الحزين: دوام الحال من المحال، و بعد نظرات الحزن لابد من ملامح الفرح و السرور..

أيها الوجه الحزين: من أفضل العبادة انتظار الفرج..

أيها الوجه الحزين: كن على يقين أن الله قد جعل لكل شئ قدرا، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك..

أيها الوجه الحزين: ابتسم فإن ساعات العمر معدودة..

أيها الوجه الحزين: اعلم أن الدنيا أوقاتها محدودة، وأنفاسها معدودة، فلا تيأس أبدًا، وكن على أمل وحسن ظن بربك الكريم..

مقدمة

يقابلنـا يوميا فى الدنيـا عـشرات بـل مئـات الوجـوه.. فى الشـارع، فى العمـل، فى الحـى الـذى نسـكن فيـه.. وجـوه ذات ألـوان مختلفـة: بيضـاء و سـمراء، وجـوه ذات مشـاعر مختلفـة.. وجـوه ضاحكـة، وجـوه حزينـة، وجـوه حانيـة، وجـوه صارمـة، وجـوه لأنـاس أطهـار، وجـوه لأنـاس أشرار .

والأسـئلة التـى قـد تبـدو بديهيـة: أى الوجـوه وجهـى ووجهـك فى الدنيـا؟ وماهـى ملامـح شـخصيتك؟ مـن أنـا؟ مـا هـى سـمات شـخصيتى؟

كل هـذه الأسـئلة قـد تبـدو مهمـة وفاصلـة فى رحلـة البحـث عـن الـذات، والبحـث عـن التفـوق و التميـز.. ولكـن السـؤال الأهـم: أى الوجـوه سـيكون وجهـك فى الآخـرة؟ ومـا هـى رحلـة الوجـوه البشريـة المثـيرة والعجيبـة عـبر الزمـان و المـكان؟

يا لها من رحلة.....!!!

تبدأ من ظهر الأب إلى بطن الأم، و من بطن الأم إلى ظهر الأرض، ومن ظهر الأرض إلى بطن الأرض، ومن بطن الأرض إلى يوم العرض، وفى النهاية تحط الرحال.. إما إلى جنة.. و إما إلى نار.. جعلنا الله و إياكم من أهل الفردوس الأعلى.

الانفعالات فى القرآن:

المشاعر التى ترتسم على وجوه الناس الذين نقابلهم فى حياتنا اليومية هى مرآه، تعبِّر لنا عما يدور فى نفوسهم من انفعالات، وعما يدور فى أعماقهم من مشاعر، حتى وإن حاولوا إخفاء هذه الانفعالات والمشاعر، أو كتمانها، فإنها تظهر بطريقة لاشعورية على وجوههم، وقد جاء فى القرآن وصف دقيق لكثير من الانفعالات التى يشعر بها الإنسان، مثل: الخوف، والغضب، والحب، والفرح، والكره، والغيرة، والحسد، والندم، والحياء، والخزى"[1]، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء فى القرآن فى شأن المنافقين فى قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[2]

(1) القرآن و علم النفس- محمد عثمان نجاتى - ص71

(2) [محمد:30-29]

فهـذه الآيـة تبـين لنـا انفعـال الكـره والضغينـة التـى تـدور فى أعـماق المنافقـين اتجـاه أهـل الإيمـان والالتـزام، ويخاطـب اللـه سـبحانه وتعـالى نبيـه (ﷺ) أنـه لـو شـاء لكشـف إلى نبيـه هـؤلاء المنافقـين فلعرفهـم بسـيماهم أى مـن ملامـح وجوههـم، ولأظهـر مشـاعر الحقـد الدفينـة عـلى وجوههـم، لكنـه لم يفعـل سـبحانه وتعـالى سـترًا منـه عـلى خلقـه، وقـد روى أن أمـير المؤمنـين عثـمان بـن عفـان، رضي اللـه عنـه قـال:

"مـا أسرَّ أحـد سريـرة إلا أبداهـا اللـه عـلى صفحـات وجهـه، وفلَتـات لسـانه"[1].

فكرة الكتاب و أهدافه:

نقـدم لأحبـاب سلسـلة (وسـارعوا) هـذه المـرة فكـرة جديـدة و مثـيرة، ولهـا عـدة أهـداف منهـا:

أولاً: التدبـر فى كتـاب اللـه مـن خـلال جمـع الآيـات التـى ورد فيهـا لفـظ (وجـوه) فى القـرآن بأكملـه - سـواء كان مسـندًا إلى ضمـير أو غـير مسـند – و التدبـر فى هـذه الآيـات بمـا يحقـق الوحـدة الموضوعيـة، وهـو مـا يسـمى عنـد علـماء التفسـير المعاصريـن بــ (التفسـير الموضوعـى)

(1) تفسير بن كثير ص2769

ثانيًا: تقسيم الكتاب إلى كتابين: (وجوه السعداء)و(وجوه الأشقياء)، وبالتالى فنحن بين أيدينا كتابين فى ثوب كتاب واحد.

ثالثًا: تقسيم الآيات فى كل كتاب بما يتناسب مع كل فريق من الفريقين، ثم تأتى الخطوة الجديدة التى نقدمها لكم – أحبتنا فى الله - وهى ترتيب الآيات- فى كل كتاب -ترتيبًا زمنيًّا، يتناسب مع رحلة الإنسان بدءًا من الحياة الدنيا، و مرورًا بمنازل الدار الآخرة؛ وحتى يصل الإنسان إلى مستقره النهائى، إما إلى جنة و إما إلى نار، والعياذ بالله، نسأل الله لنا ولكم أن نكون من أهل الفردوس الأعلى، وهى رحلة قرآنية عبر الزمان والمكان نقابل فيها وجوه مختلفة ونشعر فيها معكم بمشاعر مختلفة مع كل وجه نقابله، ومع كل سطر فى هذا الكتاب الجديد والفريد فى فكرته.

رابعًا: وليس هذا فحسب، بل وحتى تكتمل الفائدة لأحباب سلسلة (وسارعوا)، قمنا أيضًا بالتدبر فى السنة النبوية فى أحاديث صحيحة، ورد فيها أيضًا لفظ (وجوه)، محققين بذلك فوائد عظيمة من خلال ربط القرآن بالسُنة، من خلال التدبر فى كلمة واحدة، ونحسب أننا لم نُسبَق إلى ذلك – على حد علمنا القاصر– فيما يتعلق بالتدبر فى كلمة (وجوه).

خامسًا: فى كل آيه قرآنية نطوف حولها، نتعرض إلى شرح الآية، أو إلى شرح الحديث، ثم نتعرض إلى بيان لمحات قرآنية وتدبرية فى الآية، أو فى السورة التى وردت فيها الآية؛ حتى نتعلم ونفهم كلام ربنا، كما نحاول أن نذكر بعض الأخطاء الشائعة عند الناس فى أمر من أمور العبادات، أو المعاملات كلما تهيأت الفرصة، أو نناقش قضية واقعية معاصرة تعانى منها أمتنا، ونقدم لها الحلول العملية، والدروس التربوية، ولكن على أساس النظرة القرآنية والسُنة النبوية فى المقام الأول، وكل ذلك يُناقش فى إطار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى جاء فيها ذكر كلمة (وجوه).

سادسًا: نحاول أيضا أن نتعرض لبعض القضايا المنهجية، والتى تُشغِل الشباب كلما تهيأت لنا الفرصة، ونعرضها باختصار وإيجاز مبينين فيها النظرة الصحيحة للإسلام.

سابعا: هناك كلمات أخرى ذات صلة بكلمة (وُجُوه) جاءت فى القرآن أو السُنة لم نستوعبها كلها – و قد نتعرض لها فى بعض الأحيان- حتى لايطول الكتاب، مثل: (تَوَجَّهَ، لِوَجْهِ، وَجِيهًا ، وَجْهَكَ، وَجْهَهَا، وَجْهَهُ، وَجْهِيَ ، وَجَّهْتُ، يُوَجِّههُّ).

هيا بنا أيها الأحباب... لنركب معا آلة الزمان، ونسبح فى فضاء القرآن، وننطلق عبر الزمان والمكان من خلال الآيات، التى سنتدبر فيها معكم بإذن الله .

لكن لحظة من فضلكم...!!!

فقبل أن نضغط على زر الانطلاق فى رحلتنا المثيرة لوجوه السعداء، أحببنا أن نملأ قلوبنا وقلوبكم بجرعة من السعادة، ونستهل هذا الكتاب بوصف أحب الوجوه إلى قلوبنا وقلوبكم فى هذه الدنيا بأكملها، إنه الوجه الذى لن نتردد لحظة واحدة فى التضحية بكل ما نملك؛ حتى نراه ولو مرة واحدة فى رؤيا منامية فى الدنيا،حتى نلقاه فى الآخرة بإذن الله.. إنه وجه أحب الخلق إلى الله جل و علا.. إنه وجه النبى ﷺ.

الفصل الأول

وابتسم النبى (ﷺ)

(واللـه مـا كان عـلى الأرض وجـه أبغـض إليَّ مـن وجهـك، فقـد أصبـح وجهـك أحـب الوجـوه إليَّ)[1]

هـذه الكلـمات نطـق بهـا ألـد أعـداء النبـى بعدمـا أعلـن إسـلامه.نطق بهـا (ثمامـة بـن أثـال) بعـد أن كان أسـيرًا فى يـد الصحابـة، و عفـا عنـه النبـى (ﷺ)، فوجـه النبـى (ﷺ) أحبـه أعدائـه قبـل أصحابـه، وقبـل أن نصـف لكـم أحبتنـا فى اللـه وجـه الحبيـب، تخيلـوا معنـا هـذا المشـهد، الـذى يجلـب للقلـب كل سـعادة وفـرح ويزيـل مـن قلوبكـم كل هـم و حـزن.

تخيلـوا معنـا أن النبـى (ﷺ) يبتسـم إليكـم...!!! يبتسـم إليكـم لأنكـم أحبابـه الذيـن آمنتـم بـه ولم ترونـه...!!! لاتتعجبـوا، فقـد كان دائـم الابتسـام لأصحابـه، فعـن جريـر رضي اللـه عنـه، قـال:

"مـا حجبنـي النبـي (ﷺ) منـذ أسـلمت، ولا رآني إلا تبسـم في وجهـي، ولقـد شـكوت إليـه إني لا أثبـت عـلى الخيـل، فـضرب بيـده في صـدري، وقـال: "اللهـم ثبتـه واجعلـه هاديـا مهديـا" [2]

---

(1) البخارى - برقم 4372

(2) البخارى - برقم 3035

فما هو وصف وجه النبى (ﷺ)؟

تصف أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وجه النبى (ﷺ) تقول "وكان (ﷺ) أحسن الناس وجهًا , وأنورهم لونًا لم يصفه واصف قط، بمعنى صفته إلا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر، يقول هو أحسن في أعين الناس من القمر، يُعرف رضاه وغضبه في سِرَارِ وجهه [1]، كان (ﷺ) إذا رضي أو سرَّ فكأن وجهه المرآة، وإذا غضب تلون وجهه (ﷺ) , واحمرت عيناه" [2]

ما أروع هذا الحديث، الذى يصف لنا و بدقة انفعالات وجه النبى (ﷺ)، وتخيلوا معنا أننا من هذه الانفعالات نتعلم ونستلهم مجموعة من الدروس المستفادة منها:

أ- قول عائشة رضى الله عنها: "يُعرف رضاه وغضبه في سرار وجهه"، تتعلم أن تكون سليم القلب، لاتكتم خيانة، أو تضمر غلاً لأحد، أن تكون بوجه واحد، و هو وجه العبد: فى البيت وجه العبد وفى العمل وجه العبد، مع الأغنياء أو الفقراء وجه العبد، فإياك أن تكون من أصحاب الأقنعة المزيفة.

ب- قول عائشة رضى الله عنها: "كان وجهه كالمرآة" نتعلم منه عدم الجمود فى المشاعر، فقد كان وجه النبى (ﷺ)

---

(1) بمعنى خطوط الوجه، أى أسارير الوجه

(2) رواه أبو نعيم فى دلائل النبوة برقم 566

كالمرآة ينقـل كل مـا بداخلـه مـن الأحاسـيس و الانفعـالات بـلا تكلـف، أو كتـمان للمشـاعر والأحاسـيس، ونحـن نقابـل أناسـا وجوههـم جامـدة، لا تنقـل مشـاعرهم وهـم يتصنعـون الهيبـة و الوقـار، و هـؤلاء يصعـب التواصـل معهـم فى أحزانهم وأفراحهم.

ولعلنـا نسـمعك تقـول أيهـا القـارئ: أن هـذا الوصـف جـاء مـن السـيدة عائشـة؛ لأنهـا كانـت زوجتـه التـى تحبـه، و المحـب يـذوب فى محبوبـه، ولا تـرى عينـه إلا المحاسـن، ولكـن هـذا الانطبـاع والوصـف لوجـه النبـى (ﷺ) قـد لاحظـه صحابتـه الكـرام ، فهـا هـو هنـد بـن أبي هالـة [1] يصـف وجـه النبـى (ﷺ)، فيقـول:" واسـع الجبـين أزج الحواجـب سـوابغ في غـير قَـرن بينهـما عـرق يُـدِرُّه الغضـب"[2]

فمـن هـذا الحديـث نـرى أنـه يؤكـد عـلى نفـس المعنـى الـذى ذكرتـه عائشـة -رضى اللـه عنهـا- فى ملاحظتـه أنـه كان فى وجـه النبـى(ﷺ) "عِـرْق يُـدِرُّه الغضـب" وكلمـة (يُـدِرُّه) مـن الإدرار، "والمعنـى: يحركـه الغضـب، وبهـذا يكـون العـرق موجـودًا بـين الحاجبـين، لكنـه لا يظهـر إلا إذا أثـاره الغضـب، فهـاج الـدم فيـه، فظهـر للناظريـن، وهـذا المعنـى مـن الكـمال في النبـى (ﷺ) إذ

---

(1) هنـد بـن أبي هالـة هـو ابـن السـيدة خديجـة بنـت خويلـد، وربيـب النبـى محمـد، و هـو أخـو فاطمـة الزهـراء مـن أُمهـا، وخـال الحسـن والحسـين.

(2) رواه ابو نعيم فى الدلائل برقم 565

كان لايغضب إلا لله"[1]، لكن هذا الحديث يضيف لنا وصفين مهمين:

أ- أنه كان عليه الصلاة و السلام (أزج الحواجب) والزجج هو: طول الحاجبين، مع استقواس وتدقيق؛حتى تصل إلى مؤخرة العين.

ب- أما معنى سوابغ من غير قرن: فإن السبوغ فيه معنى الكمال، لكن من غير أن يلتقي الحاجبان؛ لأن القرن وهو التقاء الحواجب عيب فى الشكل، وهو (ﷺ) كان كاملاً فى أوصافه الشريفة، فكان حاجبيه قد بلغا الكمال والوفرة من غير التقاء، فيا له من وصف يملأ القلب بالسرور.

لكن..وبعد أن عرفنا مدى ارتباط سلامة قلب النبى(ﷺ) بملامح وجهه، وبأن مشاعره النبيلة سواء فى الغضب أو الرضا، وفى الفرح أو السرور، الكل كان يظهر على وجهه..

يتبقى السؤال: ما الذى كان يرضى النبى (ﷺ) وما الذى كان يغضبه؟ ما الذى كان يفرحه، وما الذى كان يحزنه؟

لو نظرت إلى حالنا، فستجد أن الغالبية العظمى من الناس يحزنون، وتتقطع قلوبهم، حسرة لضياع مال، أو فقدان منصب

(1) الأسرار البلاغية فى صفات النبى صلى الله عليه وسلم الخِلْقية – أ.د. **فتحى حجازى**، ولمزيد من التفاصيل عن ملامح وجه النبى صلى الله عليه وسلم وصفاته الخِلْقية، ننصح بالرجوع إلى كتاب (الشمائل المحمدية) للترمذى

أو ترقية، أو تأخر شئ من متاع الدنيا، وقليل من الناس هو الذى يحزن لفوات طاعة لله أو يندم على التفريط فى أداء عبادة.. لكن عندما نتكلم عن ملامح أطهر الوجوه وأحبها إلى الله، فإن الأمر بلاشك سيختلف كثيرًا...!!!!

فقد بينت لنا السُنة كيف كانت ملامح وجه النبى (ﷺ) تتغير عند استجابة الصحابة لأوامر الله، وإقبالهم على الله، بالطاعات التى ترضيه، فعن جرير بن عبد الله، قال: "جاء ناس من الأعراب إلى رسول (ﷺ) عليهم الصوف فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة، فحث الناس على الصدقة، فأبطئوا عنه حتى رؤُي ذلك في وجهه. قال: ثم إن رجلا من الأنصار جاء بِصُرة من ورق، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا؛حتى عرف السرور في وجهه، فقال رسول الله (ﷺ):

"من سن في الإسلام سُنة حسنة، فعمل بها بعده، كُتب له مثل أجر من عمل بها، ولاينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سُنة سيئة، فعمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء" [1]

يا لروعة هذا الحديث...!!! انظر كيف تغير وجه النبى (ﷺ) من انفعال الحزن، لإبطاء الناس عنه، وعدم المسارعة إلى الصدقات عندما دعاهم للتصدق على هؤلاء الفقراء، إلى حالة

(1) رواه مسلم برقم 1017

مـن الـسرور والفـرح بعـد اسـتجابة النـاس وتتابعهـم فى إخـراج الصدقـة ..

هل حدث هذا معك يومًا ما؟

هـل حـدث معـك هـذا التغير النفسى الفـورى مـن الحـزن إلى الفـرح والـسرور؟

الفـرح.. لمجـرد طاعـة أقبـل النـاس عليهـا .. الفـرح.. لمجـرد أنـك وجـدت جـارك بـدأ يصـلى الفجـر.. الفـرح.. لمجـرد أنـك وجـدت أحـد أقاربـك قـد تـاب اللـه عليـه مـن المـال حـرام.. الفـرح.. لمجـرد أن هنـاك سُـنة مهجـورة بـدأت تنتـشر..

لا شـك أن حـدوث هـذا قليـل جـدًا فى حياتنـا، ويبـدو أن النبـى (ﷺ) كان يفـرح بشـكل خـاص بالصدقـات.

فعـن عـدي بـن حاتـم، قـال: أتيـت عمر بـن الخطـاب، فقـال لي: "إن أول صدقة بيَّضـت وجـه رسـول اللـه (ﷺ) ووجـوه أصحابـه، صدقـة طيـئ، جئـت بهـا إلى رسـول اللـه (ﷺ)"[1]، ومعنـى (بيَّضـت) أى: سرتهـم وأفرحتهـم.

بـل دعنـا نسـألك سـؤالا.. ونحـن مازالنـا نتخيـل أننـا نطالـع صفحـه وجـه النبـى (ﷺ) ونسـتلهم مـن انفعـالات هـذا الوجـه الطاهـر الـدروس والعـبر التـى لا تنتهـى.. هـل تبتسـم للمخطئـين مـن حولـك و تلتمـس لهـم الأعـذار؟

(1) مسلم - برقم 2523

ودعنا نضرب لك مثالاً؛ حتى يتضح السؤال، فلو أنك مدير كبير، وقام أحد الموظفين بالتعدى عليك بقول، أو بفعل غير لائق من غير أن يقصد، بل لظرف أو لعذر مقبول، فلعل أقصى ما يحدث أن تعفو عنه ولا تخصم من مرتبه.

لكن انظر كيف احتمل النبى (ﷺ) جهل هذا الأعرابى، وكانت ابتسامته حلاً لموقف لايحتمله أحد، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: "كنت أمشي مع النبي (ﷺ) وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي (ﷺ) قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء" [1].

و أخيرًا وليس آخرًا.. كانت ابتسامة وجه النبى (ﷺ) مدرسة يربى بها الصحابة من غير أن يتكلم بكلمة واحدة، فعندما يخطئون أو يصيبهم الحرج، كان يربيهم بابتسامة، فما أعظمه من معلم، وما أحلمه من مربى.

وانظر بالله عليك كيف تصرف الحبيب فى هذا الموقف العصيب فى غزوة حنين عند حصار النبى (ﷺ) للطائف ، وعندما طال الحصار وأصاب الصحابة الجراح والتعب، أشفق النبى(ﷺ) على صحابته، فأمرهم بالانسحاب، لكن الصحابة لحرصهم على الجهاد فى سبيل الله أصروا على أن يكملوا...

---

(1) البخارى 3149

فماذا فعل النبى ﷺ معهم؟

اقرأ هذا الحديث بقلبك، وتعلم من سيد الخلق، وحبيب الحق كيف تكون الابتسامة، وملامح الوجه أحد أهم وسائل التربية التى يغفل عنها المربين، والدعاة، فعن عبد الله بن عمر، قال: "لما حاصر رسول الله (ﷺ) الطائف، فلم ينل منهم شيئا، قال: "إنا قافلون إن شاء الله"، فثقل عليهم، وقالوا: نذهب ولا نفتحه، وقال مرة: "نقفل". فقال: "اغدوا على القتال". فغدوا فأصابهم جراح، فقال: "إنا قافلون غدا إن شاء الله". فأعجبهم، فضحك النبي (ﷺ) "[1]

هل سمعت فى أعظم المناهج التربوية، وأفضل الدورات فى التنمية البشرية عن مثل هذه الوسيلة التربوية فى رفع الحرج واحتواء الآخر؟

عندما أصرَّ الصحابة على أن يكملوا الحصار، أحس النبى (ﷺ) بحرصهم على الجهاد، فقرر أن يجتهد معهم، ولكن مع طول الحصار ازدادت جراحهم، ولم يحدث فتح الطائف، فعلموا وأيقنوا أن رأى النبى (ﷺ) كان أرجح من رأيهم، فعرض النبى (ﷺ) عليهم الانسحاب مرة أخرى رفقًا بهم، فوافقوا وأعجبهم، ولكن شعروا بالحرج، فرفع النبى (ﷺ) هذا الحرج بابتسامة..

(1) البخارى برقم 4325

هـل عندمـا يُـصر أحـد أولادك عـلى رأى، ويتضـح أنـك أنـت الصـواب.. مـاذا تفعـل؟ هـل تظـل تسـخر منـه، وتعـيره بأنـه هـو المخطـئ، أم ترفـع عنـه الحـرج بابتسـامة كـما فعل الحبيـب (ﷺ)؟

والآن.. حـان ميعـاد بـدأ الرحلـة مـع وجـوه السـعداء فى الدنيـا.. هيـا بنـا لنتعـرف أسـباب ووسـائل السـعادة، ولكـن كـما رسـمها القـرآن، وكـما رسـمتها لنـا سُـنة النبـى (ﷺ) .. لكـن لا تنسـوا أيهـا الأحبـاب أمـرًا مهـمًّا جـدًا...!! لاتنسـوا أن تودعـوا وجـه الحبيـب (ﷺ)، فـمازال يبتسـم إليكـم...!!

سـيطير عقلـك مـن العجـب عندمـا تعلـم أن النبـى (ﷺ) ودَّع أصحابـه؛ بـل وودَّع هـذه الدنيـا الفانيـة التـى يتقاتـل عليهـا النـاس بابتسـامة، واقـرأ معـى أيهـا القـارئ هـذا الحديـث، فعـن أنـس:

"أن أبـا بكـر كان يصـلي لهـم في وَجَـع رسـول اللـه (ﷺ)، الـذي تـوفي فيـه، حتـى إذا كان يـوم الاثنـين، وهـم صفـوف في الصـلاة "كشـف رسـول اللـه (ﷺ)، سـتر الحجـرة، فنظـر إلينـا، وهـو قائـم كأن وجهـه ورقـة مصحـف، ثـم تبسـم رسـول اللـه (ﷺ) ضاحـكًا"، قـال: "فبهتنـا ونحـن في الصـلاة مـن فـرح بخروج رسـول اللـه (ﷺ)، ونكـص أبـو بكـر عـلى عقبيـه ليصـل الصـف، وظـن أن رسـول اللـه (ﷺ) خـارج للصـلاة، فأشـار إليهـم رسـول اللـه (ﷺ) بيـده أن أتمـوا صلاتكـم"، قـال: "ثـم دخـل رسـول اللـه (ﷺ) فأرخـى السـتر" قـال: "فتـوفي رسـول اللـه (ﷺ) مـن يومـه ذلـك" [1]

---

(1) رواه مسلم -برقم 419

لقد توقفنا كثيراً عند هذه العبارة الخلابة (كأن وجهه ورقة مصحف)، يقول النووى: "عبارة عن الجمال البارع وحسن البشرة وصفاء الوجه واستنارته"[1]، لكن فى الحديث سر آخر بديع، و هو إجابة عن سؤال طالما نطرحه على أنفسنا: ما الذى يجعل رسول الله (ﷺ) مسرورًا من أمة الإسلام ؟

الإجابة عن هذا السؤال واضحة فى الحديث، يقول النووى: "قوله (ثم تبسم رسول الله (ﷺ) ضاحكًا)، وسبب تبسمه (ﷺ) فرحه بما رأى من اجتماعهم على الصلاة، واتباعهم لإمامهم، وإقامتهم شريعته، واتفاق كلمتهم، واجتماع قلوبهم، ولهذا استنار وجهه (ﷺ) على عادته، إذا رأى أو سمع ما يسره يستنير وجهه"[2].. إنه "اتفاق كلمة المسلمين، واجتماع قلوبهم"، لو حدث هذا بالفعل، لكان ذلك سبب ابتسامة النبى (ﷺ) حقيقة، والآن ..حان ميعاد بدء الرحلة مع وجوه السعداء فى الدنيا.. فهل أنت مستعد؟

---

(1) شرح النووى لصحيح مسلم –الجزء الرابع –ص118

(2) المصدر السابق



الفصل الثانى

وجوه السعداء فى الدنيا

أولاً: أول طريق السعادة.. امسحوا بوجوهكم:

قال تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[1]

﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ﴾.. إنها بداية الرحلة.. رحلة وجوه السعداء.. هيا امسحوا ما بوجوهكم من أحزان، وامسحوا ما بقلوبكم من أوجاع، هكذا تبدأ رحلتنا مع هذا الوجه السعيد فى الدنيا و الآخرة، الذى يغترف غَرفة من الماء؛ لكى يتطهر وجهه، استعدادًا لأن يتطهر القلب بالخشوع فى الصلاة، ومن

(1) [المائدة ٦]

الملاحـظ أن آيـة الوضـوء وردت فى سـورة المائـدة، وبالتدبـر فى هـذه السـورة المباركـة نلاحـظ الآتى:

1. أن سـورة المائـدة بـدأت بقولـه تعـالى: ﴿يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا أَوْفُـوا بِالْعُقُـودِ﴾ وكأن هـذا النـداء لأهـل الإيمـان لبيـان أن أهـم مقاصـد سـورة المائـدة هـو الوفـاء بالعهـد مـع اللـه، وهـو أهـم أسـباب السـعادة فى الحيـاة الدنيـا.
2. بـدأت السـورة بأهميـة الوفـاء بالعهـود فى الأطعمـة، ثـم فى النـكاح، وانتقلـت إلى الوفـاء بالعهـود فى العبـادات، وكأن الوفـاء بالعهـود لابـد أن يكـون شـاملاً فى جميـع مناحـى الديـن، فـلا يجـوز أن نختـار مـا يعجبنـا فى الديـن ونـترك مـا لايعجبنـا.

ولعلكـم تتذكـروا أننـا اسـتمتعنا بوصـف وجـه النبـى (ﷺ) وابتسـامته لنـا .

فكيـف سـيتعرف النبـى (ﷺ) عـلى وجـوه أمتـه يـوم القيامـة و هـو لم يرهـم؟

مـن العجيـب أن النبـى (ﷺ) سـيتعرف عـلى أمتـه يـوم القيامة مـن علامـة مهمـة فى الوجـه، تنشـأ مـن آثـار التـزام وجـوه السـعداء بالوضـوء فى الدنيـا.! هــذه العلامـة، هــى النـور الــذى سيكسـو وجـه المؤمـن يـوم القيامـة، فعـن نعيـم المـُجَمِّر، قـال: رقيـت مـع أبي هريـرة عـلى ظهـر المسـجد، فتوضـأ، فقـال: إني سـمعت النبـي

(ﷺ) يقول "إن أمتي يُدعَون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل"[1].

و(غرا): من الغرة بياض الوجه.. يريد بياض وجوههم بنور الوضوء يوم القيامة، و(محجلين): بيض الأطراف من اليدين والرجلين (من الوضوء) أي من آثار الوضوء أو لأجل الوضوء، (سيماء أمتي) السيماء: العلامة يريد أن هذا مخصوص بأمته (ﷺ)

وبما أن الوضوء هو العلامة التى سيتعرف بها النبى (ﷺ) على وجوه السعداء من أمته يوم القيامة فلابد أن نُحسن الوضوء.

فهيا بنا نتعرف أهم أخطاء الوضوء الشائعة:

1. النطق بالنية فى الوضوء: فمن الأخطاء الشائعة، أن من الناس من يقول فى بداية وضوئه: (نويت أتوضأ)، وهذا خطأ لأن النية محلها القلب، وليس ذلك فى الوضوء فحسب، ولكن فى جميع العبادات.
2. السرعة الشديدة جدًا فى عملية الوضوء، وكأننا فى ماراثون أو مسابقة، ويترتب على ذلك:

---

(1) البخارى - برقم 136

أ- عدم غسل الوجه كاملا: فبعض الناس يكتفي بغسل ظاهر الخدين، ويترك باقي الوجه، والصحيح أن حدود الوجه الواجب غسله من منابت الشعر المعتاد إلى أسفل الذقن، ومن شحمة الأذن إلى شحمة الأذن الأخرى.

ب- عدم إسباغ غسل القدمين؛ خصوصًا لأنه أكثر الأعضاء عرضة لأن يكون عليه تراب أو أوساخ، وينبغي غسل القدمين إلى الكعب، والكعب، هو العظم البارز أسفل الساق على جانبي القدم، وفي كل قدم كعبان (و هو ما يسميه الناس ببز الرجل).

3. ومن المعلومات الشائعة خطأ، أنه يجب إعادة الوضوء إذا أصاب البدن أو الثوب نجاسة، و هذا خطأ، وإنما عليه أن يغسل مكان النجاسة فقط، ولا يتوضأ.

4. ومن المعلومات الشائعة خطأ أن عليه دخول دورة المياه أولا قبل الوضوء، وهذا خطأ فلا علاقة بين دخول دورة المياه وصحة الوضوء، إلا إذا كان يدافع الأخبثين – البول والغائط- فيدخل دورة المياه أولاً.

5. ومن الأخطاء الشائعة الشك والوسواس القهرى، فيعيد الوضوء مرات عديدة، والصحيح أن يطرح هذا الشك وراء ظهره ولا يعيد الوضوء إلا إذا تيقن أنه أحدث.

6. الإسراف فى استعمال الماء فى الوضوء أو الغسل مع أن النبى (ﷺ) كان يتوضأ بالمد[1]، و المد ملء كف الرجل المتوسط[2]

هذه بعض الأخطاء الشائعة فى الوضوء حتى نتجنبها، فنحقق النجاح فى أول خطوات الانطلاق فى رحلة وجوه السعداء، ولكن يا ترى بعد هذه الخطوة.. ما هى الخطوة التالية فى هذه الرحلة؟ هيا بنا نتابع الرحلة.. رحلة وجوه السعداء.

ثانيًا: يظلهم الله بظله:

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[3]

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾

فبعد أن تطهر هذا الوجه السعيد بدأ يمشى متوجهًا إلى المسجد لأداء الصلاة، "قاصدًا أن يتوجه بصلاته إلى ربه، لا إلى ما سواه من الأوثان والأصنام، وأن يجعل دعاءه لله خالصا"[4]، لقد بدأ يمشى بخطوات مطمئنة إلى بيت من بيوت الله الذى طالما

(1) البخارى برقم 201-باب الوضوء بالمد.

(2) لمزيد من التفاصيل عن الأخطاء فى الوضوء ينظر كتاب (صحح أخطاءك فى العقائد والعبادات) جمع و ترتيب محمد أحمد زغدان.

(3) [الأعراف: 29]

(4) الطبرى فى تفسيره لهذه الآيه - بتصرف

مـشى إليـه، وهـو يشـعر فى أعماقـه أن قلبـه أصبـح معلقًا بالمساجد، تماما كـما تـرى النجفـة معلقـة فى سـقف المسـجد، راجيًـا أن يكـون ممـن يظلهـم اللـه بظلـه.

إنـه يمـشى منـذ سـنوات طويلـة وهـو يسـتحضر قـول النبـى (ﷺ): "مـن تطهـر في بيتـه، ثـم مـشى إلى بيـت مـن بيـوت اللـه؛ ليقـضي فريضـة مـن فرائـض اللـه، كانـت خطواتـه إحداهـما تحـط خطيئـة، والأخـرى ترفـع درجـة"[1]، إنـه يمـشى وهـو يسـتحضر قـول النبــى (ﷺ):

"مـن مـشى إلى صـلاة مكتوبـة فى الجماعـة فهـى كحجـة، ومـن مـشى إلى صـلاة تطـوع فهـى كعمـرة نافلـة"[2]

يــا ســبحان اللـــه..!! مجــرد خطــوات معــدودة لهـا كل هـــذا الأجـر! يـا لـه مـن أجـر عظيـم بعمـل قليل،كـم هـى خسـارة هـؤلاء الغافلـون عـن هـذا الأجـر..!!!

لكـن.. لحظـة مـن فضلكـم أيهـا الأحبـاب.. هـل هـذا فقـط هـو كل مـا يشـغل السـعداء فى الدنيـا، وهـم فى طريقهـم إلى المسـجد؟ الإجابـة لا بـكل تأكيـد..!

إذًا مـاذا يُشـغل السـعداء، وهـم يمشـون فى خطواتهـم المباركـة إلى المسـاجد؟ أتعلمـون أيـن جـاءت هـذه الآيـة؟ هـذه الآيـة وردت فى سـورة الأعـراف.

---

(1) رواه مسلم - برقم (666)

(2) صحيح الجامع- برقم (6556)

لكن ماذا يعنى هذا..؟

لـو تدبـرت فى سـورة الأعـراف، سـتجد أن محـور السـورة الرئيـسى يـدور حـول رحلـة موكـب السـعداء، موكـب أهـل الإيمـان، وهـو يحمـل عقيـدة التوحيـد ويمـضى بهـا عـبر التاريـخ يواجـه بهـا البشريـة جيـلا بعـد جيـل.

حيـث تبـدأ سـورة الأعـراف فتتحـدث عـن أن اللـه خلـق آدم وزوجـه، وأسـكنهما الجنـة، مـرورًا بخروجهـما مـن الجنـة، وبدايـة رحلـة البشريـة عـلى الأرض، ثـم ذكـر قصـص الأنبيـاء عليهـم الصلاة و السـلام مـع أقوامهـم، ثـم يـأتى ذكـر آيـة الميثـاق، وعهـد الفطـرة الـذى أخـذه اللـه عـلى بنـى آدم، ثـم تعـود السـورة فى نهايتهـا إلى النقطـة التـى انطلقـت منهـا ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا﴾[1]

إن محـور السـورة يـدور حـول رحلـة موكـب السـعداء الذيـن يعلمـون أن مهمتهـم فى هـذه الحيـاة الدنيـا، وسـعادتهم فيهـا لم تنتـه عنـد مجـرد غرفـة مـاء يتوضـؤون بهـا فى البيـت و تنتـه مهمتم، بـل إن رسـالتهم فى الحيـاة أكـبر مـن هـذا بكثـير، إن مهمتهـم هـى حمـل أمانـة هـذا الديـن وتبليغـه للنـاس، وأن التزامهـم بالصـلاة ابتـداءًا هـو مـن بـاب الامتثـال لأمـر اللـه، وبالإضافـة يعينهـم عـلى حمـل الأمانـة كـما قـال تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ

(1) حـول مزيـد عـن محـور سـورة الأعـراف يرجـع إلى كتـاب (التفسـير الموضوعـى لسـور القـرآن الكريـم)إشراف د.مصطفـى مسـلم –المجلـد الثالـث –ص4

بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1] إن حمل أمانة الدين لا تغيب أبدًا عن قلب وعقل السعداء، ولذلك نتألم مما نراه في مساجدنا من أخطاء وسلوكيات خاطئة، تبين أن كثيرًا من المصليين يذهبون - و بكل أسف - إلى المسجد وهم مغيبون عن هذا الهدف وهذه الرسالة.

ومن تلك الأخطاء والسلوكيات الخاطئة:

1. طرد الأطفال من المسجد: فتجد أن كبار السن - ونحن نعذرهم في ذلك لكبر سنهم- يقومون بطرد الأطفال من المساجد والمبالغة في نهرهم لأقل خطأ، وهم إما يقومون بذلك بلا مستند شرعي، أو ربما يستندون على حديث ضعيف "جنبوا مساجدكم صبيانكم"[2]

2. رفع الصوت في المسجد والأصل أن الكلام في المسجد مباح.

3. عدم إغلاق المحمول إما تهاونا و إما نسيانا: و تجد أن المأموم الذي قد انطلق صوت هاتفه ليهز أصداء السكينة في المسجد، إما في صلاة سرية أو صلاة جهرية، يسارع بيده لكي يتلمس موضع هاتفه بحثًا عن مخرج من هذا المأزق، وخاصة عندما تكون لأحد الأغاني والموسيقى

(1) [البقرة153]

(2) رواه (بن ماجه) -برقم 750

الصاخبة، وقد يصل الأمر إلى أنه يُخرج الهاتف؛ لكى يرى من الذى يطلبه، ثم يعيد المحمول إلى جيبه، مع أن الحل منذ البداية وهو أنه يجعل هاتفه صامتا، أو حتى يغلقه إن كان يُعظِّم قدر الصلاة، ويستشعر من قلبه أنه يقف بين يدى الله سبحانه وتعالى.

4. المبالغة فى زخرفة المسجد، و التباهى بين الناس بهذه الزخرفة.
5. البيع و الشراء فى المساجد.
6. الرائحة الكريهة سواء للفم أو للعرق أو للملابس.
7. عدم الإنصات للخطيب يوم الجمعة.

والشاهد من كلامنا أنه إذا لم تنضبط سلوكياتنا فى بيوت الله، فأين تنضبط؟

ثالثًا: إياك نعبد:

قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[1]

(1) [البقرة 144]

وصل الوجه السعيد بعد أن توضأ، ومشى إلى المسجد إلى بيت من بيوت الله، وبدأ يستعد لاستقبال القبلة.. إن وجوه السعداء تستقبل، الكعبة المشرفة خمس مرات فى اليوم والليلة، لكن هل فكرت مرة واحدة فى أن استقبالك للقبلة ليس مجرد أحد شروط صحة الصلاة فحسب[1]؛ بل هو تطبيق عملى لأحد شروط ومقتضيات (لا إله إلا الله)؟[2] إنه شرط الانقياد لله، وسرعة الاستجابة لأوامره ونواهيه سبحانه و تعالى.

وحتى نبين لكم أيها الأحباب ما نقصد، أقرأ هذا الحديث الذى يرويه لنا ابن عمر - رضي الله عنهما- كيف كانت سرعة استجابة الصحابة - رضى الله عنهم- لأوامر الله ورسوله (ﷺ) عند نزول آية تحويل القبلة، يقول: "بينما الناس في الصبح بقباء، جاءهم رجل فقال: إن رسول الله (ﷺ) قد أنزل عليه الليلة قرآن، وأمر أن يستقبل الكعبة، ألا فاستقبلوها، وكان وجه الناس إلى الشام، فاستداروا بوجوههم إلى الكعبة"[3]

انظر إلى هذه العبارة الخلابة "فاستداروا بوجوههم إلى الكعبة" الله اكبر..!! هكذا بكل بساطة يستقبلوا الكعبة دون

---

(1) شروط صحة الصلاة تسعة:(الإسلام/ العقل /التمييز/رفع الحدث/ إزالة النجاسة / ستر العورة /دخول الوقت / استقبال القبلة/ النية)

(2) لمزيد من المعلومات حول شروط (لا إله إلا الله) راجع سلسلة (وسارعوا رواية (و تسقط الأسوار) الجزء الثانى فقد تناولنا فيه هذه الشروط بشكل عملى و قصصى مبسط.

(3) البخارى – برقم 4490

أن يسـألوا عـن السـبب؟وليه؟ و اشـمعنا فى الوقـت ده؟ يسـتقبلوا الكعبـة لمجـرد أن بلغهـم أن النبـى (ﷺ) أمـر بذلـك؟ إنهـا سرعـة المبـادرة والتسـليم لأمـر اللـه ورسـوله.. أسـتحلفك باللـه أن تقـارن بـين فعـل الصحابـة، وفعـل أولئـك الذيـن لا هـمَّ لهـم إلا الطعـن فى صحيـح البخـارى، أصـح كتـاب بعـد كتـاب اللـه، وتشـكيك النـاس فى السُـنة، بـل والأشـد منهـم مـن ينكـرون حجيـة السُـنة أصـلا، ويسـمون أنفسـهم (القرآنيـين)...!!!!

إن شرط الانقيـاد هـو المحـك العمـلى الـذى يفـرِّق بـين النـاس ودرجاتهـم فى الإيمـان بكلمـة (لا إلـه إلا اللـه)، فالانقياد هو استسـلام القلـب وتصديقـه، بـأن عليـه أن يمتثـل لأمـر اللـه عـز وجـل، و أمـر النبـى (ﷺ) بـكل خضـوع وإذعـان- طالمـا صـح الخـبر-، ولذلـك فقـد أعلـن القـرآن بـكل وضـوح أن الانقيـاد والتسـليم لأمـر اللـه، هـو أقـوى حلقـة تربـط السـعداء بهـذا الديـن ..

قـال تعـالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[1]

والعـروة الوثقـى هـى الحلقـة لا تنفصـل أبـدًا، بـل الأكـثر مـن ذلـك، آيـة تحويـل القبلـة وردت فى سـورة البقـرة.

(1) [لقمان:٢٢]

و السـؤال.. (مـا هـو أحـد أهـم الـدرس المُسـتفادة مـن سـورة البقـرة)

نقـول لـك.. إذا تدبرنـا فى سـورة البقـرة، وجدنـا أن محور السـورة الرئيـسى هـو "منهج خلافـة اللـه فى الأرض بـين مـن أضاعـوه، ومـن أقامـوه، وهـذا المحـور يتناسـب مـع موضوعـات السـورة، ومـع ملابسـات نزولهـا؛ فسـورة البقـرة أول سـورة نزلـت بالمدينـة ، وقـد صـار للمسـلمين عندئـذ دولـة وأرض فناسـب أن يخاطبـوا لوراثـة الاسـتخلاف الإلهـى"[1].

ثـم إن هـذه الآيـة -آيـة تحويـل القبلـة - جـاءت فى بدايـة الجـزء الثـانى مـن القـرآن الكريـم، و إذا تدبـرت فى الجـزء الأول وجـدت أن المحـور الرئيـس لهـذا الجـزء هـو بنـو إسرائيـل، وأسـباب عزلهـم عـن خلافـة الأرض، وأن أهـم هـذه الأسـباب هـو عـدم الامتثـال لأمـر اللـه، ولذلـك كانـت بدايـة الجـزء الثـانى هـو الحديـث عـن تحويـل القبلـة إيذانـا بتحويـل القيـادة الدينيـة والخلافـة لأمـة خـير الأنـام محمـد (ﷺ).

والسـؤال هـل نحـن فـى واقعنـا المعاصـر نسـتحق الأمانـة التـى شـرَّفنا الله بهـا؟

دعونـا لانتعجـل الإجابـة، لكـن إذا تأملـت فعليًّـا فى واقـع المسـلمين ومـدى التطبيـق العمـلى لـشرط الانقيـاد لأمـر اللـه و

(1) التفسير الموضوعى لسور القرآن الكريم — الجزء الأول ص28

رسوله (ﷺ) فى حياتهم اليومية، لوجدت أن الأكثرية -إلا ما رحم ربى- بعيدة عن تحقيق هذا الشرط مع تمام الاعتراف والتاكيد على كونهم مسلمين موحدين.

فإذا سألت عن الأسباب التى تحول دون التحقيق الكامل لشرط الانقياد وجدت أن أحد أهم هذه الأسباب هو شعور (الخوف).. نعم إنه الخوف من كلام من الناس، الخوف من تعليقات الناس واستنكارهم لفعل من الأفعال على الرغم من أنه قد لا يكون مخالفا للشرع، ولاحتى للآداب العامة ، الخوف من نظرة المجتمع .

ومن الأمثلة الحياتية على الخوف من نظرة المجتمع:

1. المغالاة فى المهور خوفًا من كلام الناس، حتى أنك تجد المرأة الفقيرة، والتى قد لاتملك قوت يومها تستدين وتقترض، ثم لاتستطيع السداد، فتكون عاقبتها السجن لعدم قضاء الدين.
2. الإسراف فى إقامة الأفراح، والبذخ الشديد، بل وارتكاب كم ليس بالقليل من المعاصى فى أول ليلة يؤسس فيها البيت المسلم، وكل ذلك خوفًا من كلام الناس.

3. عدم لبس الحجاب، بل وخلعه بعد ارتدائه لأعوام، خاصة عند طبقة المترفين، وذلك خوفًا من كلام الناس، ظنًّا منهم خطأ أن الحجاب خاص بالطبقات الفقيرة.

4. مجاراة الشباب بعضهم البعض فى تناول المحرمات، مثل: شرب السجائر و الحشيش و المخدرات؛ خوفًا من أن يقال إذا امتنع أنه (مش راجل)، وهكذا يتم التغرير بكثير من الشباب.

5. تأخر زواج الأرمل أو الأرملة، بل قد يصل الأمر إلى العزوف بالكلية عن فكرة الزواج لمجرد الخوف من كلام الناس، حتى مع الاحتياج الشديد للزواج.

6. تخاذل بعض الشباب عن الذهاب للصلاة فى المسجد جماعة؛ خوفًا من سخرية أصدقاء السوء.

7. الخجل من البوح بالمشاعر بين أحد الزوجين؛ وخاصة المشاعر الجسدية خوفًا من سخرية الطرف الآخر[1].

بالله عليك.. هل رأيت كم يؤثر الخوف من كلام الناس على قرارتنا ؟

ومع التسليم بأن الإنسان لا غنى له عن المجتمع، وعلى أنه لا بد أن يراعى الأعراف والتقاليد، إلا أن التمادى فى هذا المراعاة؛

---

(1) لمزيد من المعلومات عن انفعال الخوف يرجع إلى كتاب (منهج السنة النبوية فى التربية النفسية) د. حسين محمد حسين

خاصة إذا خالفت الشرع، تؤدى بالإضرار بالفرد، بل والمجتمع أيضًا.

فإذا سألت عن الحل، فنقول بإيجاز أن أهم الحلول وأسهلها يتلخص فى كلمتين...!

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ قلب سورة الفاتحة، ما عليك إلا أن تنطق بهاتين الكلمتين من قلبك، وأنت تستقبل القبلة بقلبك قبل أن تستقبلها بوجهك، فالسعداء فى الدنيا، لايخافون من كلام الناس، ولايخشون من نظرة المجتمع طالما أنهم لم يخالفوا شرعًا أو خلقًا أو أدبًا من الآداب العامة.

لكن.. ما هى أسعد اللحظات على الإطلاق فى حياة السعداء؟ هيا بنا إليها.

رابعًا: اسجد و اقترب

قال الله تعالى:

﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ

﴿ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾[1]

ماذا تفعل عندما تستقبل خبرًا سارًا مفرحًا؟

قد تتفاوت ردود أفعالنا، فمنا من يبتسم، ومنا من يضحك بصوت مجلجل، ومنا من يستقبل الأخبار بجمود، ولكن دعونا ننظر إلى كيفية تعامل النبى (ﷺ) مع الأخبار السارة؟ وما علاقة ذلك بالسجود ؟

فعن أبي بكر: "أن النبي (ﷺ) أتاه أمر، فسر به، فخر لله ساجدًا."[2]

سبحان الله!!! إنه أحد فضائل السجود فى الدنيا، والتى نغفل عنها -إلا ما رحم ربى- فهناك ارتباط وثيق بين السجود ومشاعر الفرح والسرور، وكل منهما يؤدى إلى الآخر، فعند استقبال خبر سار يسجد العبد شكرا لنعمة ربه، وفى الوقت نفسه اقترابه من محبوبه-سبحانه و تعالى - يجعله يزداد سرورا على سرور وفرحا على فرح، فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فياله من مصدر للسعادة يغيب عنا.

---

(1) [الفتح: 29]

(2) رواه الترمذى 1578

يقول د.حسين محمد حسين[1]:"في هذا الحديث نلاحظ الربط بين السرور و السجود، السجود فيه سعادة بلقيا المحبوب، وهى خلوة مع الله ينفصل ولو للحظات عما حوله، والسجدة فيها دعاء واستغفار، من يرى سجدة الشاكر المسرور يرتبط عنده السجود الذى هو تعبير عن العبودية بالسرور الذى هو تعبير عن السعادة"

هذه أحد فضائل السجود فى الدنيا، وأما فضائل السجود فى الآخرة فإن مواضع السجود تظل كما هى لا تحترق، فإن الله قد حرَّم على النار أن تأكل مواضع السجود، فعن جابر بن عبد الله، قال رسول الله (ﷺ): "إن قوما يخرجون من النار يحترقون فيها، إلا دارات وجوههم؛ حتى يدخلون الجنة"[2] و(دارات) جمع دارة، وهى ما يحيط بالوجه من جوانبه، ومعناه أن النار لا تأكل دارة الوجه لكونها محل السجود.

توضيح هام: فى قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ بعض الناس - يظن خطأ - أن المقصود بها هى العلامة الحسية التى تظهر فى الجبهة من أثر السجود، ولكن الصحيح أنها النور والإشراق الذى يكسو وجه المؤمن، فعن ابن عباس: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ يعني:"السمت الحسن،

---

(1) منهج السنة النبوية فى التربية النفسية –ص 106

(2) مسلم 319

وقال مجاهد وغير واحد: يعني: الخشوع والتواضع"[1]. إنها أثر من آثار قيام الليل،قال بعض السلف: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار.

ماذا تتوقع لهذا الوجه السعيد الذى وقف بين يدى ربه، وبدأ يدعو ويردد بخشوع هذا الدعاء، وهو يستفتح قيام الليل:

"وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا، وما أنا من المشركين، إن صلاتي، ونسكي، ومحياي، ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي، وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعًا، إنه لايغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق، لايهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لايصرف عني سيئاها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك"[2]

هل خطر ببالك أن الحزن الذى طالما عانيت منه أيها الحبيب لعله يزول بسجدة، هل تريد الدليل على ذلك؟ تدبر فى هذه الآية، قال عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا

(1) تفسير القرآن العظيم –ابن كثير

(2) رواه مسلم -برقم 771 (و هذا الدعاء أحد أدعية الاستفتاح فى قيام الليل)

يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[1] ولكن بشرط أن نحسن السجود: سجود الجسد وسجود القلب، وحتى يتحقق ذلك أحببنا أن نضيف هنا..

بعض الأخطاء الشائعة فى السجود:

1. سرعة النقر على الأرض ورفع الرأس سريعًا وعدم الاطمئنان فى السجود، ففى الحديث "أسوأ الناس الذى يسرق من صلاته، قالوا يارسول الله كيف يسرق من صلاته؟ قال: لا يتم ركوعها ولاسجودها"[2]

2. إلصاق المرفقين (وهو ما يسميه الناس بالكوعين) إلى الجنبين أثناء السجود، والصحيح مباعدة المرفقين عن الجنبين فقد كان النبى (ﷺ) إذا صلى فرَّج بين يديه؛ حتى يبدو بياض إبطيه[3]

3. خطأ وضع المرفقين على الأرض، والصحيح: رفع المرفقين من على الأرض أثناء السجود، ففى الحديث الصحيح: "اعتدلوا فى السجود ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب"[4]

---

(1) [الحجر: 97، 98]

(2) رواه أحمد برقم 22642

(3) البخارى –برقم 390

(4) البخارى –برقم 822

4. عدم استقبال أصابع القدمين للقبلة، والصحيح: استقبال أصابع القدمين للقبلة، ففى حديث أبي حميد الساعدى "واستقبل بأطراف أصابع رجليه القبلة"[(1)]

5. خطأ عدم السجود على الأنف، والصحيح السجود على الأنف ففى الحديث: "أمرت أن أسجد على سبعة أعظم على الجبهة، وأشار بيده على أنفه واليدين والركبتين، وأطراف القدمين"[(2)]

هذه بعض الأخطاء الشائعة[(3)] فى عبادة السجود، ولعلكم لاحظتم أيها الأحباب أن الآيات السابقة كانت عن عبادة الصلاة فهل وجوه السعداء كانت تصلى فقط؟ بالطبع لا.. بل حققت الدين بجميع مناحيه عبادات و معاملات و أخلاق.. تعالوا معنا نتدبر فى هذه الآية، والتى تثبت ما نقول.

خامسًا: ادخلوا فى السلم كافة

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ

---

(1) البخارى - برقم 828

(2)البخارى -برقم 812

(3) لمزيد من التفاصيل عن أخطاء السجود يرجع إلى كتاب صحح أخطاءك لـ(محمد أحمد زغدان)

وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[1]

هـل تذكـر معـى أيهـا القـارئ أننـا تحدثنـا فى صفحـات ماضيـة أن مـن صفـات وجـوه السـعداء اسـتقبال القبلـة؟

هيـا بنـا لـكى نربـط مـا قلنـاه هنـاك فى قولـه تعـالى: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ بتلـك الآيـة السـابقة، وكلتـا الآيتـين وردتـا فى سـورة البقـرة، لنتعلـم كيـف نربـط الآيـات ببعضهـا البعـض فنتـذوق حـلاوة القـرآن، فلـما حـدث تحويـل القبلـة " وأكـثر أهـل الكتـاب مـن الخـوض فى شـأن تحويـل القبلـة، بـيَّن الحـق هنـا فى هــذه الآيــة، أن أمــر القبلــة ليــس هــو الــبر المقصــود، فليــس الخـير الـذى يتقـرب بـه المـرء إلى ربـه فى التوجـه إلى جهـة المـشرق و المغـرب، ولكـن الـبر الحقيقـى الـذى هـو وصـف جامـع لخصـال الخـير كلهـا"[2]، وسـورة البقـرة يسـميها العلـماء بفسـطاط القـرآن[3] "أى مدينتــه الجامعــة لاشــتمالها عــلى أمهــات الأحــكام ومعظــم أصـول الديـن و فروعـه"[4]

---

(1) [البقرة:177]

(2) التفسير الموضوعى لسور القرآن الكريم –الجزء الأول –ص202

(3) رواه الدارمى -برقم 3419-عن خالد بن معدان

(4) فيض القدير بشرح الجامع الصغير للمناوى –الجزء الرابع-ص149

وتدبر معى فى هذه الاية التى تكاد تمثل مختصرًا جامعًا لخصال الخير، وفهرسًا وافيًا لدين الإسلام، فذكرت أركان الإيمان ﴿ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾، وبعد أصول الإيمان ذكر أمر العبادات من خلال الإشارة إلى ركنين عظيمين من أركان الإسلام ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾، ثم انتقلت الآية إلى الأخلاق وذكر أصل عظيم من أصول الأخلاق الذى إذا انتظم فى حياة الفرد والمجتمع سننتظم ولاشك باقى الأخلاق وهو الوفاء بالعهد ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ وتشمل العهد مع الله ومع الناس.

و تأتى هنا لمحة قرآنية رائعة..

فبعد أن جمعت تلك الآية المباركة بين أصول العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، قد يتبادر إلى ذهنك سؤال بديهى.. كيف استطيع أن أقوم بأداء تلك التكاليف مع كل ما يعانى منه الإنسان من تقلبات الدهر بين الفقر والغنى، والشدة والرخاء، والضعف والقوة، والصحة والمرض؟، وكأن القرآن يقرأ ما يدور فى ذهنك؛ لأن القرآن كلام الله الذى يعلم من خلق.. وتفاعل القرآن مع ما يدور فى قلب قارئ والإجابة الشافية فى قوله تعالى: ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾، إنه سلاح الصبر أقوى وأشد أسلحة المؤمن على الإطلاق، ودعونا نسرع بآلة الزمن لكى نرى أحد وجوه السعداء التى ستؤثر كثيرًا فى مجرى الأحداث.. أحداث آخر الزمان.. أحداث نهاية العالم على كوكب الأرض.

سادسًا: من أهل بيتى

"المهديُّ منِّي أجْلَى الجَبهَةِ، أَقنَى الأنفِ، يملأُ الأرضَ قِسطًا وعَدلاً، كما مُلِئَت جَوْراً وظُلماً، يملِكُ سبعَ سنين"[1]

إنه وجه المهدى أحد وجوه السعداء والتى تأتى فى آخر الزمان، فقد ثبت فى السُنة الصحيحة أن الله تعالى يبعث فى آخر الزمان خليفة كون حكمًا بالعدل، يلى أمر هذه الأمة من آل بيت النبى (ﷺ) من سلالة فاطمة، يوافق اسمه اسم رسول الله (ﷺ)، والمهدى رجل من مصلحي هذه الأمة، وهو مثل غيره من المصلحين يسير على الكتاب والسُنَّة ويحكم بهما، وقد وصف النبى (ﷺ) شكل وجهه فهو..

أجلى الجبهة: انحسار الشعر عن مقدمة الرأس.

أقنى الأنف: انحناء و احتداب فى قصبة الأنف.

ولن نطيل الكلام حوله، ولكن أردنا أن نشير إلى أن الأحاديث فى شأن المهدى مستفيضة، بل متواترة متعاضدة،كما قال علماؤنا

أيها الأحباب..

فبعد أن عرفنا طريق السعادة فى الحياة الدنيا، فمن المهم أن نعرف أن رحلة السعداء فى الدنيا ليست سهلة، وستتعرض وجوه السعداء فى الدنيا لعقبات وفتن مختلفة، ستقابل وجوه

(1) رواه أبو داوود —برقم 4285

السـعداء محطـات اختبـارات متعـددة، سـتقابل وجـوه السـعداء وجوهًـا وصفهـا لنـا الحبيـب بدقـة؛ حتـى يحذرنـا منهـا أتعرفـون ماهـى هـذه الوجـوه؟ ومـاذا نفعـل معهـا؟

هيا بنا لكى نتعرفها..

الفصل الثالث

احذر هذه الوجوه

نعـود إلى صاحـب الوجـه السـعيد بعـد أن أدى الصـلاة وخـرج مـن المسـجد يكسـو وجهـه النـور، و يعلـوه الوقـار، لكـن قابلـه وجهين....احـذر منهـما..

الوجه الأول: وجوه المداحين

ففـى الحديـث جعـل المقـداد يحثـي عليـه الـتراب، وقـال: "أمرنـا رسـول اللـه (ﷺ)، أن نحثـي في وجـوه المداحـين الـتراب"[1] (مولانـا، شـيخنا، بركاتـك يـا مولانـا، مفيـش اثنـين زيـك هنـا فى المسـجد)، هـذه الكلـمات التـى قـد تطـرق مسـامع وحـوه السـعداء، وتصـدر ممـن يحيطـون بهـم، وعـلى الرغـم مـن أنهـا قـد تكـون مـن بـاب المجاملـة، إلا أنهـا مـع اعتيـاد الإنسـان عـلى سـماعها، قـد تـؤدى إلى آفـة خطـيرة مـن آفـات القلـوب، و هـو (مـرض الكـبر)، ولذلـك كان الرجـل مـن أصحـاب النبـي(ﷺ) إذا زُكِّيَ – يعنـى إذا مدحـه أحـد- يبـادر بمدافعـة الكـبر، ولاينتظـر حتـى يسـتحكم مـن قلبـه، ويقـول: "اللهـم لاتؤاخـذني بمـا يقولـون، واغفـر لي مـا لا يعلمـون"[2].. لكـن

(1) مسلم 3002

(2) الأدب المفرد – وقال الألبانى صحيح الإسناد

لـو حـدث وشـعر المسـلم بـأن هـذا الـداء الخطـير بـدأ يتسـلل إلى قلبـه، فعليـه بتلـك النصائح الذهبيـة:

1. أن يتذكـر جيـدًا أن صفـة الكِـبَر لاتليـق إلا باللـه وحـده سـبحانه و تعـالى، فهـو المتكـبر وحـده لا شريـك لـه.
2. أن يتذكـر أن عاقبـة الكِـبَر فى الآخـرة عظيمـة "لا يدخـل الجنـة أحـد في قلبـه مثقـال حبـة خـردل مـن كبريـاء"[1]
3. ثـم إليكـم هـذا الـدواء الفعَّـال فى سـورة الفاتحـة، قـال بـن القيم:"والقلـب يعـرض لـه مرضـان عظيـمان، إن لم يتداركهـما العبـد تراميـا بـه إلى التلـف ولابـد، وهـما الريـاء و الكـبر، فـدواء الريـاء بإيـاك نعبـد، ودواء الكِـبَر بإيـاك نسـتعين"[2]

﴿إيـاك نسـتعين﴾.. شـفاء القلـوب مـن داء الكـبر..! وتذكـر أن ﴿إيـاك نعبـد﴾ كانـت شـفاء لمـرض الخـوف مـن كلام النـاس[3] ونظـرة المجتمـع وهـو يتمثـل فى داء الريـاء، وبذلـك تكـون سـورة الفاتحـة شـفاء لجميـع أمـراض القلـوب، بـل وأمـراض البـدان أيضـا، وسـيأتى مزيـد مـن الـكلام عـن داء الريـاء وعلاجـه فى الجـزء الثـانى مـن الكتـاب.

---

(1) مسلم- جزء من حديث برقم 148

(2) مدارج السالكين –ص47

(3) راجع صفحة 50

الوجه الثانى: وجوه المياميس[1]

عـن أبـو هريـرة رضي اللـه عنـه: قـال رسـول اللـه (ﷺ): "نـادت امـرأة ابنهـا وهـو في صومعـة، قالـت: يـا جريـج، قـال: اللهـم أمـي وصـلاتي، قالـت: ياجريـج، قـال: اللهـم أمـي وصـلاتي، قالـت: يـا جريـج، قـال: اللهـم أمـي وصـلاتي، قالـت: اللهـم لا يمـوت جريـج حتـى ينظـر في وجـوه المياميـس، وكانـت تـأوي إلى صومعتـه راعيـة ترعـى الغنـم، فولـدت، فقيـل لهـا: ممـن هـذا الولـد؟ قالـت: مـن جريـج، نـزل مـن صومعتـه، قـال جريـج: أيـن هـذه التـي تزعـم أن ولدهـا لي؟ قـال: يـا بابـوس[2]، مـن أبـوك؟ قـال: راعـي الغنـم"[3]

أيهـا الأحبـاب، بعـد أن ذكرنـا لكـم عقبـة قـد تقابـل وجـوه السـعداء وهـى أمـراض القلـوب، هـا نحـن ننتقـل فى رحلة وجـوه السـعداء فى الدنيـا لعقبـة أخـرى لهـا طبيعـة مختلفـة، وهـى معـاصى الجـوارح.. إنهـا فتنـة النسـاء أعظـم، وأخطـر الفتن...ويـا لهـا مـن عقبـة!!

واسـمحوا لنـا قبـل أن نتحـدث عـن أضرار هـذه الفتنـة العظيمـة أن، نحـكى لكـم قصـة جريـج العابـد المليئـة بالـدروس و العـبر، وملخصهـا:

---

(1) المياميس جمع مومسة، والمومسة هى المرأة الزانية

(2) و معنى (بابوس) اسم للرضيع بلغة قوم جريج

(3) البخارى- 1206

أن جريجـا - رحمـه اللـه - كان عابـدًا في بنـي إسرائيـل، فبنـى صومعـةً وترهَّـب فيهـا، وبينـما كان جريـج يتعبـد في صومعتـه جاءتـه أمـه، ونادتـه، وصـادف أن كان هـو فى صلاتـه فلـم يجبهـا واختـار صلاتـه، ثـم تكـرر هـذا مـرة أخـرى، ومـرة ثالثـة، لكـن فى المـرة الثالثـة تضايقـت الأم ودعـت عـلى ابنهـا بدعـوة غريبـة ألا يمـوت؛ حتـى يـرى وجـوه البغايـا، ولقـد تحققـت فعـلا دعـوة الأم، فقـد حـدث أن الذيـن كانـوا معـه في بلـده مـن بنـى إسرائيـل، تناقشـوا في عبـادة جريـج، وذكـروا كيـف كان يعبـد ويطيـل العبـادة ويتفـرغ للعبـادة، فقالـت بغـي منهـم: (إن شـئتم لأفتننـه)، فوافقـوا، فتعرضـت لـه، ولكـن جريـج كان عابـدًا صادقًـا مـع اللـه فلـم يلتفـت إليهـا، فأمكنـت نفسـها مـن راعٍ - راعـي غنـم- كان يـؤوي غنمـه إلى أصـل صومعـة جريـج، فلـما وقـع عليهـا الراعـي حملـت فولـدت غلامًـا، فأتـت بنـي إسرائيـل فقيـل لها:مـن الـزانى؟ قالـت: جريـج الراهـب نـزل إليَّ فأصابنـي، فأتـوه فكـسروا صومعتـه، وجعلـوا يضربونـه وقـرروا صلبـه، فقـال جريـج: دعـوني حتـى أصـلي، فتوضـأ - وهـذا دليـل عـلى أن الوضـوء كان في الأمـم مِـن قبلِنـا- وصـلى، ودعـا اللـه تعـالى، ثـم أتى الغـلام فطعنـه بأصبعـه في

بطنه، فقال: بالله يا غلام من أبوك؟ قال الغلام: أنا ابن الراعي، فأبرأ الله جريجًا، وأعظم الناس أمر جريج، فضحك جريج، فقالوا له: بالله مِمَّ ضحكت؟ فقال: (ما ضحكت إلا من دعوة دعتها أمي).

يا الله..!!! انظروا أيها الأحباب، كادت هذه المرأة البغى أن تهلك جريج العابد، الذى ظل لسنوات يعبد الله، ولكن الحفيظ سبحانه وتعالى حفظ جريج لصدقه، بينما نجد فى قصة برصيصا العابد أنه مات كافرا، وكانت البداية القصة هى فتنة النساء أيضا. إن أهل الإيمان فى الدنيا تعترضهم عقبات وفتن كثيرة منها: فتنة المال، فتنة المنصب، وغيرها من الفتن، ولكن أعظم هذه الفتن: فتنة النساء.

وهذا ليس كلامنا، ولكنه كلام الصادق المصدوق (ﷺ): "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء"[1]

والمشكلة فى زماننا أن هذه الفتنة ليست قاصرة على مكان واحد، بل أينما وجهت وجهك وجدت هذه الفتنة: فى الشارع، فى العمل، فى وسائل الإعلام، فى الجامعات وما أدراك ما الجامعات؛ حتى أصبح الشباب الملتزم حائرًا لايعرف أين يصرف بصره، والشهوة تفور فى أعماقه، فما بالك بمن لا يغضون أبصارهم، ويجلسون ليل نهار أمام المواقع الإباحية ؟

(1) البخارى – برقم 5096 عن أسامة بن زيد

لكن انتبهوا معنا أيها الأحباب، فأضرار فتنة النساء ليست قاصرة على الأضرار المعروفة: كالزنا و التحرش الجنسى، وانتشار العادة السرية، فهذه تكون بسبب فتنة المرأة الأجنبية - يعنى التى ليست من محارمه-، ولكن قد تتعدى أضرار هذه الفتنة لأمور أخرى؛ وخاصة فى فتنة الرجل مع زوجته.

فتنة النساء: قد تصل إلى أن يقع الزوج فى كبيرة فيعُقَّ الرجل أمه، ويقطع رحمه إرضاءًا لزوجته، والمؤسف أن هذا قد يحدث مع التزامه بالصلاة وسائر العبادات، وقد تصل إلى أن يسرق الزوج، ويختلس أموالاً من عمله، ويأتى بالمال الحرام إلى بيته إرضاءًا لزوجته.. فهلا أخذنا بنصيحة الحبيب (ﷺ): "فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء"[1]... وبعد أن حذرناكم أيها الأحباب من فتنة النساء أردنا أن نتمم الفائدة، بذكر بعض الدروس المستفادة من حديث جريج منها:

- إيثار إجابة الأم على صلاة التطوع.
- بر الأم من أعظم الطاعات، ومن البر تقدير شعورها.
- كراهية دعاء الأم على ولدها بشر، فدعوتها مستجابة، وفى رواية للحديث (ولو دعت عليه أن يفتن لفتن).
- صاحب الصدق مع الله، لاتضره الفتن.

(1) رواه مسلم — برقم 2742

- الفزع إلى الصلاة عند حدوث المكروه.
- قوة اليقين والرجاء بالله تعالى.
- إثبات كرامات الأولياء.
- بعد الشدة يأتي الفرج والمدد من الله .
- وجود الحاسدين والحاقدين في كل زمان ومكان.
- وجود من يستغل إمكانياته في إضرار الناس.

والآن... وبعد أن تعرفنا العقبات التى قد تعترض وجوه السعداء فى الدنيا فى رحلتهم إلى الله ، احبس أنفاسك واستعد لمواصلة رحلة (وجوه السعداء)، وسننطلق هذه المرة إلى مرحلة جديدة أخطر بكثير، ولكنها أكثر راحة ولذة وسعادة من تلك المرحلة السابقة، إنها المرحلة التى نهايتها النعيم المقيم، حيث المستقر الأخير فى الوطن الأم، الذى أُخْرِجَ منه آدم عليه السلام أبو السعداء الأول وإليه يعودون.

ها قد حانت اللحظة لكى يترك السعداء هذه الدنيا، التى كانت سعادتهم فيها ممزوجة بالتعب والأحزان والآلام، لكى ينتقلوا إلى بلاد الأفراح، حيث الفرح الدائم، واللذة الخالصة، لكن لحظة من فضلكم..! تبقى لنا آخر اللحظات لوجوه السعداء فى هذه الحياة الدنيا، إنها اللحظة الفاصلة.! وتحديدًا فى لحظات الاحتضار والسعداء على فراش الموت..

والسؤال: هل هناك علامات وجهية للسعداء وهم على فراش الموت يعرفها أهل الفراسة والصلاح؟

نعم هناك علامات لحسن الخاتمة والتى قد تظهر على وجوه السعداء، والتى قد يُستأنس بها، طالما أنها ظهرت على وجوه كانت معروفة في الدنيا بالصلاح والتقوى، ولاتكون على سبيل القطع والجزم، لكن نستبشر بها، ومن هذه العلامات:

1. العرق الغزير على الجبين لقول النبى صلى الله عليه و سلم "المؤمن يموت بعرق الجبين" [1]

2. بياض وجه الميت ، أو إشراقه بابتسامة رقيقة، ونحو ذلك، وليس لذلك علاقة بلون الجلد الحقيقى، فقد تجد رجلا أسود اللون فى الدنيا، ولكن وجهه يعلوه النور عند وفاته.

والآن.. استعد حانت لحظة الانطلاق.. اربط حزام الأمان، وهيا بنا ننطلق بكل قوة، فى رحلة وجوه السعداء إلى الدار الآخرة، والتى أول منازلها القبر.

(1) رواه الترمذى —برقم 982



الفصل الرابع

وجوه السعداء فى الآخرة

جسده قبرًا لقلبه..

فى شـارع موحـش مظلـم وفى السـاعة الأخـيرة مـن الليـل قبـل انطـلاق آذان الفجـر بدقائـق، سـار هـذا الشـاب ذو الوجـه الأسـود العابـس التائـه عائـدًا إلى منزلـه، لم تكـن بشرتـه الطبيعيـة التـى خلقهـا اللـه سـوداء بـل عـلى العكـس كانـت بشرتـه بيضـاء، ولكـن السـواد قـد غطـى وجهـه وتحـت عينيـه مـع مـرور الأيـام.. تلـك الأيـام المظلمـة التـى قضاهـا فى تعاطـى هـذا الصنـف اللعـين والـذى يطلـق عليـه (الأسـتروكس)[1]، والـذى حطمـه ودمَّـر حياتـه.. إنـه يشـعر أن قلبـه قـد مـات، وأن جسـده أصبـح قـبرًا لقلبـه.. وفجـأة وهـو يجلـس مسـتندًا إلى سـيارة قرب مسـجد الحـى يشـعر بالإعيـاء، و التعـب الشـديد، وأن قدمـاه تعجـزان عـن حملـه، إذا بـه يسـمع ذلـك الصـوت الحنـون يناديـه (إلى أيـن؟ ألاتصلى

(1) يعتـبر هـذا الصنـف هـو الأكـثر انتشـارا بـين المتعاطـين بعـد الترامـادول، ومعظـم متعاطـى الاسـتروكس مـن 15 - 20 سـنة

الفجـر؟).. التفـت بحـدة، وقـد ارتسـمت عـلى وجهـه ملامـح الخـوف والانزعـاج، وهـو يـصرخ (وأنـت مالـك يـا...!!).. كاد أن يُكمـل بسُـباب، ثـم شـعر أن لسـانه ينعقـد، وهـو يحـدق في هـذا الوجـه، الـذى تكسـوه النور...أنـه وجـه شـيخ مسـجد الحـى..!!! أخـذه الشـيخ في يـده، وسـاقه كالطفـل إلى المسـجد، وكانـت تلـك هـى البدايـة.. بدايـة التوبـة و الرجـوع إلى اللـه.

لكن.. يا ترى ما علاقة ذلك بما سبق؟

لا تتعجـل.. الآن سـننتقل عـبر الزمـان بعـد هـذه الحادثـة بسـنوات، وسـننتقل إلى مـكان موحـش مظلـم، ولكنـه ليـس في هـذه الدنيـا، إنـه في ظلـمات الأرض، حيـث لا أنيـس ولا صديـق.. الـكل قـد رحـل: الزوجـة والأبنـاء والجـيران والأقـارب كلهـم قـد انصرفـوا وتركـوا هـذا الوجـه السـعيد .! إنـه وجـه شـيخ المسـجد الـذى أخـذ بيـد ذلـك الشـاب، وأدخلـه المسـجد.. إن هـذا الشـيخ (بمفـرده) الآن في القـبر، بعـد أن دفنـوه تحيطـه ظلمـة القبربمفـرده؟ لالالا.. إنـه ليـس بمفـرده...!!! بـل معـه رجـل حسـن الوجـه..

هل تعرفه أيها القارئ الحبيب ؟

أقـرأ هـذا الحديـث الـذى يعرفـك بـه، ويثبـت لـك عـذاب القـبر ونعيمـه، وكـرر هـذا الحديـث مـرات ومـرات ..

فعن البراء: "ويأتيه رجل حَسن الوجه، حَسن الثياب، طيب الريح فيقول: أبشر بالذى يسرك، هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول له من أنت؟ فوجهك الوجه يجئ بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلى ومالى"[1]

يا الله..!!! أقرأت هذه الجملة بعناية (يأتيه رجل حسن الوجه)؟ سبحانك يا رب.... إنه الجزاء من جنس العمل!.. كما كان سببًا فى إنقاذ وهداية الناس وفعل الخيرات، جاءه من ينقذه، إنه العمل الصالح - بكل أنواعه - الذى يأتى للإنسان وهو فى أشد الحاجة إلى الأنيس.

لا يهم كثيرًا أن تتخيل الملامح التفصيلية لصاحب هذا الوجه، لكن الأهم أن تعرف جيدًا الأسباب التى تجعلك من السعداء الذين سيأتى إليهم بإذن الله، إنه يأتى.. لمن واظب على الصلوات الخمس فى جماعة.. وقام فى جوف الليل.. إنه يأتى لمن عاش حياته يتقى الله فى عمله ويربى أولاده بالحلال.. إنه يأتى لمن بر والديه، ووصل رحمه.. إنه يأتى لمن غض بصره، وحفظ فرجه من الفواحش.. إته يأتى لمن حفظ لسانه من الغيبة والنميمة والكذب والخوض فى أعراض الناس.. إنه يأتى لمن أحب القرآن وقرأه وعمل به وتمسك بأحكامه.

---

(1) صحيح الجامع - برقم 1676

هـل أنــت إذًا مســتعد لأن تكــون ممــن ســينالوا شــرف مقابلتــه، ومطالعــة وجهــه؟

و الآن دعونـا ننتقـل إلى آخـر محطـة فى هـذه الرحلـة المثيرة عبر الزمـان والمـكان إنهـا آخـر وأهـم محطـة لوجـوه السـعداء، فهـى دار اسـتقرارهم وخلودهـم فى الجنـة بعـد رحلـة العنـاء والمشـقة والكـدح فى الدنيـا ولقـد ذكـر القـرآن ثمـان صفـات لوجـوه السـعداء خـلال منـازل الـدار الآخـرة وفى الجنـة، وهـذه الصفـات هـى (بيضـاء/ مسـفرة/ ضاحكـة/ مسـتبشرة/ ناعمـة/ راضيـة/ نـاضرة/ إلى ربهـا ناظـرة).

ولعلكـم أيهـا الأحبـاب، تلحظـون ملحوظـة مهمـة، وهـى أن الأوصـاف السـابقة لوجـوه السـعداء وردت كلهـا بصيغـة اسـم الفاعـل، ولم تـرد بصيغـة الفعـل، ولعـل السر فى ذلـك يرجع لسـببين:

أولا: أن اسـم الفاعـل يـدل عـلى الثبـوت و الـدوام بينـما يـدل الفعـل عـلى التجـدد و الانتقـال، وبمـا أن نعيـم الجنـة خالـد ودائـم، فقـد ناسـب التعبـير باسـم الفاعـل.

ثانيـا: سـبب آخـر هـو أن المؤمنـين الذيـن وصفـت وجوههـم بهـذه الصفـات، كأنهـم فاعلـون لهـا بأنفسـهم، وذلـك لمـا فعلـوا فى الدنيـا مـا يسـتوجبها فى الآخـرة[1] .

هيا بنا لكى نعيش معكم فى رحاب القرآن، ونتعرف هذه الصفات

(1) لغـة الجسـد فى القـرآن الكريـم العـين والوجـه واليـد نموذجـا - ص57 للدكتـور كـمال عبـد العزيـز إبراهيـم

الصفة الأولى: وجوه بيضاء

﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1]

هل سمعت عن تلك التقنيات الحديثة لتبييض البشرة؟

هـذا السـؤال موجـه إلى النسـاء تحديـدًا، والتـى أصبحـت رغبتهـن فى تبييـض البـشرة تفـوق كل وصـف، ومـع تمـام الإقـرار أن الأصـل فى المـرأة الزينـة والتجمـل، لكـن نتحـدث هنـا عـن المبالغـة الشـديدة فى ذلـك، والتـى تـؤدى إلى تغير الخلقـة التـى خلقهـا اللـه.

فمـن أدويـة باهظـة الثمـن، إلى حقـن فى الوجـه، إلى جلسـات أسـبوعية، إلى عمليـات تجميـل تنفـق عليهـا آلاف الجنيهـات،.. يـا قلبـى فاحـزن..! وفى النهايـة يتحـول الوجـه إلى وجـه ممسـوخ مشـوه، وتلـك مـن حيـل الشـيطان..

قال تعالى:

﴿ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴾[2]

---

(1) [آل عمران: 106 - 107]

(2) [النساء: 119]

لكن المهم أنه حتى لو نجحت عمليات التبييض، وأصبح هذا الوجه أبيضًا فى الدنيا، فهل يضمن هذا أن يكون هذا الوجه أبيضًا فى الآخرة ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾؟ بكل تأكيد لا.!

فقد تجد الوجه أبيضًا فى الدنيا، ولكنه أسودًا يوم القيامة، وقد يكون حالك السواد فى الدنيا، ولكنه فى غاية النور والبياض يوم القيامة، وأعلموا أيها الأحباب أن هذا "البياض والسواد.. بياض وسواد حقيقيان يوسم بهما المؤمن والكافر يوم القيامة، وهما بياض وسواد خاصان؛ لأن هذا من أحوال الآخرة فلا داعي لصرفه عن حقيقته"[1]

وهل البياض خاص بالوجوه فقط؟

لقد رسم القرآن صورة متكاملة لنعيم أهل الجنة، وصور لنا أن البياض والنور كسا كل شئ، فكما أن وجوه السعداء كساها البياض، كذلك الخمر الذي يشربونه فى الجنة لونها أبيض، قال تعالي:

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾[2].

فهى ليست سوداء أو حمراء كخمر الدنيا، بل حتى زوجاتهم فى الجنة هم الحور العين، قال تعالى:

(1) التحرير و التنوير – للطاهر بن عاشور-الجزء الرابع -ص44

(2) [الصافات 45 - 47]

﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[1].

ومعنـى الحـور: جمـع حـوراء، وهـو شـدة البيـاض في بَيـاض العـين مـع شـدة السـواد في سـوادها، وذلـك نهايـة الحسـن فى العـين و الوجـه.

لكـن السـؤال.. **هـل كل مـن دخـل الجنـة عـلى درجـة واحـدة مـن البيـاض والنـور؟**

لاشـك أنهـم يتفاوتـون فى قـوة النـور بحسـب درجـات إيمانهـم فى الدنيـا، فعـن جابـر بـن عبـد اللـه رضي اللـه عنـه، عـن النبـي (ﷺ)، قـال: "ويعطـى كل إنسـان منهـم منافقًـا، أو مؤمنًـا نـورًا، ثـم يتبعونـه وعـلى جسر جهنـم كلاليـب وحسـك، تأخـذ مـن شـاء اللـه، ثـم يطفـأ نـور المنافقـين، ثـم ينجـو المؤمنـون، فتنجـو أول زمـرة وجوههـم كالقمـر ليلـة البـدر سـبعون ألفـا لايحاسـبون، ثـم الذيـن يلونهـم كأضـواء نجـم في السـماء"[2] اللهـم بيـض وجوهنـا يـوم تبيـض وجـوه و تسـود وجـوه.

---

(1) [الدخان: 54]

(2) رواه مسلم —برقم 191

الصفـة الثانيـة، الثالثـة، الرابعـة: مسـفرة / ضاحكـة /مستبشـرة:

قال تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾(1)

وردت هـذه الآيـة فى سـورة (عبـس) ووصفـت وجـوه السـعداء يـوم القيامـة بثـلاث صفـات: مسـفرة، ضاحكـة، مسـتبشرة، وقبـل أن نبـين هـذه الصفـات، إليكـم يامـن تحبـون القـرآن هـذه التدبـرات القرآنيـة فى سـورة (عبـس):

1. تدبـر فى اسـم السـورة (عبـس) تلحـظ أنهـا تعـبر عـن أحـد انفعـالات الوجـه، و هـى حالـة العبـوس يعنـى تقطيـب الوجـه.
2. وردت الآيـات السـابقة التـى تتحـدث عـن ملامـح وجـوه السـعداء، ومـن بعدهـا ملامـح وجـوه الأشـقياء فى ختـام سـورة (عبـس)، وبذلـك تحققـت المناسـبة والعلاقـة الوثيقـة بـين اسـم السـورة وخاتمتهـا.
3. هنـاك مناسـبة وعلاقـة وثيقـة بـين الآيـات فى أول السـورة و فى آخرهـا، حيـث أن هـذه السـورة نزلـت إشـارة إلى إعـراض النبـى (ﷺ)، عـن الأعمـى- و هـو الصحـابى الجليـل عبداللـه بـن أم مكتـوم-؛ لانشـغاله (ﷺ) بدعـوة صناديـد

(1) [عبس 38 - 39]

قريش، وبالتالى فى بداية السورة كان الحديث عن صنفين من الناس: أحدهما وهو الأعمى الذى أقبل مستبشرًا بهذا الدين، يريد الاستزادة، والصنف الآخر هم الكفار، الذين أعرضوا وكفروا وفجروا، وفى الوقت نفسه وردت الآيات فى نهاية السورة تصف حال الصنفين من الناس يوم القيامة[1].

4. ورد فى سورة (عبس) مجموعة من انفعالات الوجه، تصل إلى عشرة انفعالات (عبس / تولى /تصدى/ يخشى /تلهى/ مسفرة /ضاحكة/مستبشرة/عليها غبرة/ ترهقها فترة)، ولعل الدرس المستفاد من ذلك هو أن تعبيرات الوجه وملامحه من أهم الأمور التى يجب أن يراعيها كل داعية إلى الله، بالإضافة إلى ذلك صححت السورة أولويات الدعاة إلى الله، وأن عليهم أن يعلموا جيدًا أن قيمة الإنسان ليست فى منصبه، فالضعيف الراغب فى الحق خير من ذوى المناصب البعيدين عن الله، وبعد هذه التدبرات القرآنية المبهرة فى سورة (عبس) والتى لعلك تعرفها أيها القارئ لأول مرة، فلنعد مرة أخرى لكى نركز على ملامح السعداء فى قوله تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾

(1) التفسير الموضوعى لسور القرآن – الجزء التاسع – ص39 (بتصرف)

1. فمعنى (مسفرة): الإسفار النور والضياء يقال: أسفر الصبح، إذا ظهر ضوء الشمس في أفق الفجر، أي وجوه متهللة فرحا وعليها أثر النعيم[1].

2. وأما (ضاحكة) فلعل المعنى مفهوم.. ولكن السؤال الذى قد يتبادر إلى الذهن: على أى شئ يضحك السعداء؟

قد تقول لما هم فيه من النعيم فى الجنة، ولا شك أن هذا صحيح، لكن القرآن ذكر لنا سببًا آخر من أسباب ضحكهم، فالسعداء فى الدنيا كان لهم أعداء من الأشقياء، وهؤلاء كانوا يسخرون منهم فى الدنيا؛ بل كانوا يتعرضون لهم بالأذى، ويتهمونهم بأنهم هم المتخلفون الرجعيون الضالون اقرأ ذلك فى قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ﴾[2]

هذا كان شأن أهل الفجور والكفر فى الدنيا مع أهل الإيمان.. فما الذى حدث يوم القيامة؟ كان الجزاء من جنس العمل، وجوزى هؤلاء المجرمون بمثل ما كانوا يفعلون فى الدنيا..قال تعالى:

---

(1) التحرير و التنوير - الجزء الثلاثين – ص137

(2) [المطففين 29 - 33]

﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾[1]

الله أكبر..! إنها سُنة الله التى لاتتغير ولاتتبدل.. اصبروا يا أهل الحق.!! اصبروا أيها المستضعفين فى كل مكان.! سوف يأتى اليوم الذى تسمعون فيه هذا النداء.. ﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[2]

هل جُوزى الكفار وأعداء الإسلام على احتقارهم و إيذائهم لأهل الإيمان؟.. نعم يارب، قد جوزوا أوفر و أكمل الجزاء، فسبحان الملك الجبار الذى قصم الجبابرة وأذل الطغاة.

3. و أما (مستبشرة) فهى تطلب البشر و الفرح، وحق لها والله أن تكون مستبشرة.. أليست هى الوجوه التى كانت فى الدنيا ذابلة من القيام وقلة النوم!!.. أليست هى الوجوه التى كانت فى الدنيا ناحلة من الصيام وقلة الطعام!!.. أليست هى الوجوه التى بكت من خشية الله، وانحدرت دموعها فى ظلمات الليالى، وهى تقف فى خشوع وذل بين يدى الرحمن!!.. إذاً حق لها فى هذا اليوم أن تستبشر بنعمة من الله و رضوان.

---

(1) [المطففين: 34]

(2) [المطففين: 36]

الصفة الخامسة والسادسة: ناعمة / راضية:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾[1]

عندما نتدبر فى قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ لن نطيل فى تخيل كيفية النعومة والرضى لتلك الوجوه، فالجنة فيها ما لاعين رأت، ولا أذن سمعت، ولاخطر على قلب بشر، لكن السؤال المهم.. **كيف نفوز بهذا الشرف؟ كيف نكون من الوجوه الناعمة والراضية بعد توفيق الله لنا؟**

يوضح لنا "ابن القيم" أحد الأسباب التى جعلت هؤلاء السعداء يصلون لتلك الدرجة، فيقول: "قد استقرت حكمته سبحانه أن السعادة والنعيم والراحة لا يوصل إليها إلا على جسر المشقة والتعب، ولايدخل إليها إلا من باب المكاره والصبر وتحمل المشاق، ولذلك حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات، ولذلك أخرج صفيه آدم من الجنة، وقد خلقها له، واقتضت حكمته أن لايدخلها دخول استقرار، إلا بعد التعب والنصب، فما أخرجه منها إلا ليدخله إليها أتم دخول فله كم بين الدخول الأول والدخول الثاني من التفاوت" [2]

أعلمت السر أخى الحبيب: إنه التعب والنصب، إن سلعة الله غالية، إن سلعة الله هى الجنة، قد يتعب الشباب فى الدنيا، ويخطط الليالى الطويلة؛ لكى يفوز بقلب ابنة الجيران أو زميلة

(1) [الغاشية 8 - 10]

(2) شفاء العليل فى مسائل القضاء و القدر و الحكمة و التعليل –ص425

فى الجامعة، ويتعب فى الرد على مواقع التواصل؛ لكى يكتب (قصف جبهة)- على حد تعبيرهم-، لكنه غير مستعد للتعب فى قراءة صفحة واحدة من القرآن يوميا.. أسمعك حبيبى فى الله تقول: بصراحة لم نتعود على التعب من أجل الجنة.. أريد عملا سهلا و بلا تعب، هل يوجد؟

والإجابة إليك هذا العمل البسيط والذى لايحتاج أى تعب فقط يحتاج قلبًا سليمًا، فعن عمر بن الخطاب، قال: قال النبي (ﷺ): "إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء، ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة، بمكانهم من الله تعالى" قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم، قال: "هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور لايخافون إذا خاف الناس، ولايحزنون إذا حزن الناس"، وقرأ هذه الآية {ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم، ولاهم يحزنون} [يونس: 62]"[1]

أرايت عملاً أسهل من ذلك؟ إنه مجرد أن تتحاب فى الله مع إخوانك وأصدقائك،بلا مصلحة دنيوية أو أغراض زائلة.

(1) سنن أبي داود - برقم 3527

الصفة السابعة: نضرة النعيم

قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِى وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾[1]

وجوه السعداء يكسوها النور والنضارة فى الجنة، لكن هل تلك النضارة ثابتة؟ ومتى تزداد النضارة؟

تزداد تلك النضارة فى سوق الجنة عندما يلتقى السعداء يوم الجمعة فعن أنس بن مالك، أن رسول الله (ﷺ)، قال: "إن في الجنة لسوقا، يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسنًا وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً، فيقولون: وأنتم، والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً"[2]

---

(1) [المطففين 22 - 24]

(2) رواه مسلم –برقم 2833

الصفة الثامنة: إلى ربها ناظرة

يقول الله تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1]

أحببنا أن تكون هذه الصفة هي مسك ختام السمات لوجوه السعداء في الجنة، فهي أجلُّ صفات وجوه السعداء في الرحلة بأكملها، وهي السعادة القصوى، وغاية النعيم.

إنها رؤية الله في الجنة: التي إذا نالها أهل الجنة نسوا ما هم فيه من نعيم الجنة، ففي الحديث عن صهيب عن النبي (ﷺ)، قال:"إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال:يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل"[2]، وعقيدة أهل السنة أن رؤية الله في الجنة هي رؤية حقيقة، ولكن بغير إحاطة ولا كيفية، قال تعالى:

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3]

---

(1) [القيامة 23-22]

(2) رواه مسلم -برقم 297

(3) [يونس: 26]

والزيـادة هـى إكرامهـم بالنظـر إلى وجـه ربهـم الكريـم، وقيـل الزيـادة فى حسـناتهم، وقيـل هـى مغفـرة اللـه ورضوانـه، ولا مانـع مـن إرادة كل هـذه المعـانى، كـما رجـح الطـبرى[1]

فليتنافس المتنافسون:

وتتفـاوت الرؤيـة فمنهـم مـن يـرى ربـه كل أسـبوع، ومنهـم مـن يـرى ربـه كل يـوم مرتـين، ففـى الحديـث عـن ابـن عمـر، يقـول: قـال رسـول اللـه (ﷺ): "إن أدنى أهـل الجنـة منزلـة لمـن ينظـر إلى جنانـه وأزواجـه ونعيمـه وخدمـه وسرره مسـيرة ألـف سـنة، وأكرمهـم عـلى اللـه مـن ينظـر إلى وجهـه غـدوة وعشـية، ثـم قـرأ رسـول اللـه (ﷺ) {وجـوه يومئـذ نـاضرة إلى ربهـا ناظـرة}"[2]، ولاشـك أن هـذا التفـاوت تابـع للمحبـة وللمعرفـة باللـه فى الدنيـا، فمـن كان فى الدنيـا للـه أعـرف، كان رؤيتـه فى الآخـرة للـه أعظـم.

وعـن جريـر، قـال: كنـا جلوسًـا عنـد النبـي (ﷺ) إذ نظـر إلى القمـر ليلـة البـدر قـال: "إنكـم سـترون ربكـم كما تـرون هـذا القمـر، لا تضامـون في رؤيتـه، فـإن اسـتطعتم أن لا تغلبـوا عـلى صـلاة قبـل طلـوع الشـمس، وصـلاة قبـل غـروب الشـمس، فافعلـوا"[3]

---

(1) تفسير الطبرى

(2) الترمذى –برقم 2553

(3) البخارى -برقم 7434

ولا يفوتنـا هنـا أن نجيـب عـلى سـؤال فطـرى قـد يخطـر عـلى النفـس البشريـة وثـيره بعـض الملحديـن، وهـو: لمـاذا لانـرى اللـه فى الدنيـا؟

والإجابة فى غاية الوضوح:

لــو حصلــت الرؤيــة فى الدنيــا لآمــن كل الخلــق، ولانتفــت الحكمـة التـى مـن أجلهـا أوجـد اللـه النـاس فى هـذه الحيـاة الدنيـا، و هــى الابتــلاء.

يقـول الشـيخ الشـعراوى-رحمه اللـه-: "مـن عظمـة اللـه أنـك لا تدركـه، ولـو أدركتـه لما صـح أن يكـون إلهـا، لأن إدراك العقـل لـشيء أو إدراك العـين لـشيء، معنـاه أن هـذا الـشيء أصبـح مقـدورًا عليـه، فـإذا أنـت أدركـت الحـق تبـارك وتعـالى، أنقلـب القـادر مقـدورًا عليـه، والمقـدور عليـه قـادرًا، لأنـك قـدرت عـلى أن تـراه، ولذلـك فمـن عظمـة اللـه تبـارك وتعـالى أنـك لا تدركـه".

أن الإنسـان لايـدرك الـروح التـى فى داخلـه، والتـى تقـوم بهـا حياتـه ووجـوده، وهـى أقـرب إلى نفسـه مـن نفسـه، فكيـف يقـدر أو كيـف يطمـح إلى أن يـرى اللـه سـبحانه وتعـالى تجلـت قدرتـه؟

الملحـدون ينسـبون الخلـق للطبيعـة والانفجـار الكبـير، فهـل رأوا الطبيعـة و هـى تُخلـق؟ وهـل رأوا الانفجـار الكبـير؟ بالطبـع لا..

ختامه مسك..

وفى ختـام رحلـة السـعداء لعلكـم تسـألون، كـم عـدد وجـوه السـعداء مـن أمـة محمـد (ﷺ) بالنسـبة لأهـل الجنـة؟

يبـشر النبـى (ﷺ) أمتـه بذلـك، فعـن عـن أبي سـعيد الخـدرى قـال: قـال النبـي (ﷺ): "أنتـم في النـاس كالشـعرة السـوداء في جنـب الثـور الأبيـض - أو كالشـعرة البيضـاء في جنـب الثـور الأسـود - وإني لأرجـو أن تكونـوا ربـع أهـل الجنـة" فكبّرنـا، ثـم قـال: "ثلـث أهـل الجنـة" فكبّرنـا، ثـم قـال: "شـطر أهـل الجنـة" فكبَّرنـا"[1]

يـا لهـا مـن بـشرى إن نصـف أهـل الجنـة مـن أمة محمـد (ﷺ)، بـل إليكـم مـا هـو أكـثر مـن ذلـك، ففـى روايـة أخـرى صحيحـة أن وجـوه السـعداء مـن هـذه الأمـة ثلثـى أهـل الجنـة، فعـن بريـدة: قـال رسـول اللـه (ﷺ): "أهـل الجنـة عـشرون ومائـة صـف، ثمانـون منهـا مـن هـذه الأمـة، وأربعـون مـن سـائر الأمـم"[2]

والآن.. حانـت لحظـة الرحيـل والانتقـال.. هيـا بنـا لننتقـل إلى الجانـب الآخـر مـن الكتـاب لـنرى (وجـوه الأشـقياء)، ولكـن لحظـة مـن فضلكـم قبـل أن ننتقـل إلى الضفـة الأخـرى مـن الكتـاب.. انتبـه إلى هـذا اللقـاء الحاسـم بـين أصحـاب الوجهـين.. انتبـه إلى هـذا اللقـاء بـين (وجـوه السـعداء) و(وجـوه الأشـقياء).. هيـا بنـا نسـافر فى الفضـاء القـرآنى عـبر الزمـان والمـكان.. هيـا بنـا نقـف عنـد هـذه المحطـة ونقرأهـا بعنايـة، قبـل أن تعـبر إلى الجانـب الآخـر.

---

(1) البخارى -4741

(2) الترمذى –برقم 2546

اللقاء الرهيب.. وبينهما حجاب!!!

إنـه مشـهد قـرآني فريـد يجمـع بـين الفريقين:فريـق السـعداء، و فريـق الأشـقياء فبعـد أن يسـتقر كل فريـق فى موضعـه، الفريـق الأول فى الجنـة، والثـانى فى النـار يبـدأ هـذا الحـوار الرهيـب بـين الفريقـين ،فينـادى السـعداء أصحـاب الجنـة عـلى الأشـقياء فيقولون: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾[1] هـل وجدتـم أيهـا الأشـقياء مـا قرأتـم فى القـرآن مـن الوعيـد والعـذاب حقـا؟.. فيجيـب الأشـقياء، وهـم يتقطعـون ألمًـا وندمًـا وحـسرة: ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾، وعندئـذ ينـادى منـاد بينهـم ﴿أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[2]، وفى وسـط هـذا المشـهد الرهيـب: يذكـر القـرآن هـذا الفريـق الثالـث..

إنهم أصحاب الأعراف..!

قال تعالى:

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾[3] مـن هـم أصحـاب الأعـراف؟

---

(1)[الأعراف: 44]

(2) [الأعراف: 44]

(3) [الأعراف: 46]

قـال جمهـور أهـل التفسـير: أنهـم أنـاس اسـتوت حسـناتهم وسـيئاتهم، ومـن أمثلـة ذلـك مسـلم لا يـشرب الخمـر، ولايـزنى، ولايـسرق ويقـع فى صغـار الذنـوب ويتهـاون أحيانـا، ولكنـه أيضًـا لايصـلى جماعـة، ولايتصـدق، ولايفعـل الخـير، كان طـولا عمـره مـتردد فى الطاعـات، يقـدم قدمًـا ويؤخـر الأخـرى، لم يحـدد موقفـه فى الدنيـا.. لكـن يـا تـرى أيـن هـو موقـع أصحـاب الأعـراف ؟

انتبـه أولا إلى قولـه تعـالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾، والحجـاب: هـو سـور ضرب فاصـلا بـين مـكان الجنـة ومـكان جهنـم، وقـد سـماه القـرآن سـورًا في قولـه: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌ ﴾[1]، وأمـا الأعـراف فهـو أعـلى ذلـك السـور أو الحجـاب، لأن الأعـراف جمـع عُـرف، والعـرب تسـمى كل مرتفـع عـن الأرض عُرفًـا؛ وعـلى ذلـك فـإن أصحـاب الأعـراف فى موقـع يشرفـون منـه عـلى أهـل الجنـة وأهـل النـار..

ولكـن.. مـا هـى سـمات أهـل الأعـراف حتـى تـزداد معرفـة بهـم؟

بالتدبر فى الآيات يلاحظ الآتى:

1. أن أهـل الأعـراف ليسـوا بكفـار قطعـا، لأن الكفـار يدخلـون النـار لاشـك فى ذلـك، وأصحـاب الأعـراف يطمعـون فى دخـول الجنـة.

2. أهـل الأعـراف أحسـن حـالا مـن بعـض المؤمنـين الذيـن خفـت موازينهـم، فأدخلـوا النـار بذنوبهـم، ثـم يخرجهـم

(1) [الْحَدِيدِ 13]

اللـه مـن النـار بإيمانهـم وتوحيدهـم، فأهـل الأعـراف لا يدخلـون النـار، وإن تأخـر دخولهـم الجنـة[1]

أيهـا الأحبـاب.. وبعـد أن وصلنـا إلى هـذه المرحلـة الخطـيرة فى الرحلـة، حـدد موقفـك مـن الآن، وخـذ قـرارك.. خـذ قـرارك، وقـم بخطوتـين مهمـين جـدًا:

الخطوة الأولى: اقفـز بقلبـك وعقلـك إلى الصفحـات السـابقة وأقرأهـا مـرات ومـرات؛ حتـى تتحـلى وتحقـق عمليًّـا كل مـا ذكرنـاه لـك مـن صفـات السـعداء.

الخطوة الثانية: اقفـز بعينيـك إلى الجانـب الآخـر، وتابـع القـراءة بنهـم؛ لـترى وجـوه الأشـقياء، فتتخـلى - بـإذن اللـه- عـن كل مـا يفعلـه الأشـقياء، **فدينـنا تخلية وتحليـة.**

(1) كتـاب (الجنـة والنـار) ا.د.عمـر سـليمان الأشـقر (بتـصرف)–سلسـلة العقيـدة فى ضـوء الكتـاب و السـنة

للتواصل

الفقيران إلى عفو ربهما

أحمد مختار

01001346538

رامي فريد

01150370377

فهرس الكتاب الأول